

استغلال الفوضى: القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية

تقرير خاص لمجموعة الأزمات الدولية | 15 آذار/مارس 2016
ترجمة من الإنجليزية

جدول المحتويات

i	الملخص التنفيذي
1	I. مقدمة
4	II. موجة رابعة
5	أ. فرصة في الفوضى
7	ب. الأولوية الثانية
9	ج. الفضاء السياسي والأيديولوجي
12	III. مشهد متغير
12	أ. تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام
15	ب. الخلافة التي تزداد توسعاً
19	ج. تحوّل استراتيجي للقاعدة؟
21	د. هويات متغيرة؟
24	هـ. حكم جهادي متطور؟
28	IV. عكس الموجة الرابعة
30	أ. استخدام أكثر استراتيجية للقوة
30	1. ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام
33	2. في مناطق أخرى
36	ب. الاغتيال بصفته تكتيكاً ذو قيمة محدودة
37	ج. الحوار
39	د. منع الأزمات أو منع التطرف العنيف؟
43	V. الخلاصة
	الملاحق
44	أ. مسرد
46	ب. حول مجموعة الأزمات الدولية
47	ج. مجلس أمناء مجموعة الأزمات الدولية

الملخص التنفيذي

بات تنظيم الدولة الإسلامية، والمجموعات المرتبطة بالقاعدة، وبوكو حرام وغيرها من الحركات المتطرفة لاعبين رئيسيين في أخطر الأزمات الراهنة، ما يعطل الجهود المبذولة لإنهائها. لقد استغلت هذه المنظمات الحروب، وانهيار الدول والاضطرابات الجيوسياسية في الشرق الأوسط، واكتسبت أكثر من موطئ قدم في أفريقيا وباتت تشكل تهديداً متنامياً في مناطق أخرى. إن عكس المكاسب التي حققتها هذه المجموعات يتطلب تحاشي الأخطاء التي ساعدت على ظهورها في المقام الأول. وهذا يعني التمييز بين المجموعات ذات الأهداف المختلفة؛ واستخدام القوة بشكل أكثر حكمة؛ وطردها المسلحين فقط عندما يكون هناك خطة قابلة للحياة لما سيحدث بعد ذلك؛ ومحاولة فتح خطوط اتصال، حتى مع المتشددين. كما أن من الحيوي أيضاً وقف تصاعد الأزمات التي تتغذى هذه التنظيمات عليها، ومنع أزمات أخرى من الظهور، وذلك بحث القادة على الانخراط في الحوار، وإشراك جميع الأطراف، والقيام بإصلاحات والرد بتعقل على الهجمات الإرهابية. الأكثر أهمية هو ألا تصرف الإجراءات المتخذة ضد "التطرف العنيف" الاهتمام عن التهديدات الأكثر خطورة أو تعميمها، خصوصاً مفاصلة التنافس بين القوى الرئيسية والإقليمية.

"ليس هناك ما يشير إلى أن هذه المجموعات يمكن أن تُهزم بالوسائل العسكرية وحدها، إلا أنها تتبنى أهدافاً يصعب قبولها في التسويات التفاوضية."

لقد اتسع وصول "الجهاديين" (وهو مصطلح تستخدمه مجموعة الأزمات كارهة لكنه مصطلح تستخدمه المجموعات التي يغطيها هذا التقرير للتعريف عن نفسها؛ وثمة شرح أوفى لاستخدامه في الصفحة 2) بشكل دراماتيكي على مدى السنوات القليلة الماضية. باتت بعض الحركات قوى متمردة قوية، تسيطر على الأراضي، وتحل محل الدولة وتحكم بمزيج محسوب من الإكراه والاستمالة ليس هناك ما يشير إلى أنه يمكن هزيمتها بالوسائل العسكرية وحسب. لكنها تتبنى، وبدرجات متفاوتة، أهدافاً لا تتوافق مع نظام الدولة – الأمة، ويرفضها معظم الناس في المناطق المتأثرة، ويصعب القبول بها في التسويات التفاوضية. يبدو معظمها قادراً على البقاء وعلى التكيف مع الديناميكيات المتغيرة. إن جغرافيا الأزمة اليوم تعني أن مجموعات مماثلة ستشعل العديد من حروب الغد.

لقد أعاد تنظيم الدولة الإسلامية تشكيل المشهد الجهادي؛ حيث إن استراتيجيته أكثر دموية من استراتيجية القاعدة، التي انشقت عنها عام 2013؛ وباتت خلافتها المعلنة موجودة في جزء كبير من العراق وسورية وتحتل على شريط ساحلي في ليبيا؛ ويتطوع للقتال فيها آلاف الأجانب وعشرات الحركات؛ وتشن هجماتها في العالم الإسلامي والغرب. بانخراط التنظيم في القتال على جبهات متعددة – ضد حلفاء إيران، والأنظمة السنية والغرب – فإنه نسج معاً الخيوط الطائفية، والثورية والمعادية للإمبريالية في الفكر الجهادي. قيادة التنظيم عراقية على الأغلب، إلا أن قواعده متنوعة؛ حيث يضم مقاتلين أجانب ومحليين يؤمنون بحلول نهاية العالم، ويشكل بالنسبة للبعض مصدراً للحماية، وللبعض الآخر وسيلة للارتقاء الاجتماعي، ولغيرهم مصدراً لغاية يعملون على تحقيقها، مع وجود شرائح فيه تهدف إلى تعزيز الخلافة، والاستيلاء على بغداد أو حتى على مكة، وجرّ الغرب إلى معركة تنذر بنهاية العالم. لكن بشكل أساسي، فإن ظهوره يعكس التاريخ العراقي والسوري الحديث، وإقصاء السنة، والتردي الأخلاقي بعد الغزو الأمريكي الكارثي، والمعاملة القاسية في ظل حكم رئيس الوزراء نوري المالكي، ووحشية نظام الرئيس بشار الأسد وحلفائه. ينبغي لأي رد أن يأخذ بالاعتبار الوجوه المتعددة لتنظيم الدولة الإسلامية. إلا أنه ينبغي، أكثر من أي شيء آخر، أن يعالج معاناة السنة في الشرق والشعور الخطير بأنهم ضحايا، وهو الشعور الذي ساعد على انتشار التنظيم في سائر أنحاء العالم العربي السني.

القاعدة، التي طغى عليها ظهور تنظيم الدولة الإسلامية، تطورت هي أيضاً. لا تزال المجموعات المرتبطة بها في المغرب، والصومال، وسورية واليمن قوية، وبعضها أقوى من أي وقت مضى. التحم بعضها بالمجموعات المسلحة المحلية، وأظهر درجة من البراغمية والحذر حيال قتل المسلمين والحساسية للأعراف المحلية. حول حوض بحيرة تشاد، تحولت بوكو حرام، وهي الأخيرة في سلسلة من الحركات الإحيائية المتجذرة في الاقتصاد السياسي المهمش والعنف البنيوي في شمال نيجيريا، من طائفة معزولة إلى تهديد إقليمي، رغم أن انضمامها الرسمي إلى تنظيم الدولة الإسلامية لم يغير الكثير فيها. كما أن حركات ذات مشارب مختلفة – طالبان الأفغانية القومية إلى حد بعيد، والتي عادت إلى البروز مع انسحاب القوات الأجنبية

من أفغانستان، والمجموعات الباكستانية التي تضم حركات طائفية، والمقاتلين القبليين الذين يقاتلون الدولة المركزية والعناصر المتمركزين في كشمير أو أفغانستان والمتحالفين مع المؤسسة العسكرية الباكستانية – هذه الحركات تشكل مشهداً جهادياً متغيراً في جنوب آسيا.

إن جذور هذا التوسع تتحدى أي توصيف نوعي. تتفاوت أنماط التطرف من بلد إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى، ومن فرد إلى فرد. لقد لعب الحكام المستبدون، والإقصاء السياسي، والتدخلات الغربية الخاطئة، وفشل الحوكمة، وانغلاق مجالات التعبير السياسي السلمي، وانعدام الثقة بالدولة في المناطق الريفية النائية المهملة، وتراجع سلطة النخب التقليدية وانعدام الفرص المتاحة لعدد متزايد من السكان من فئة الشباب، لعب كله دوراً في ذلك. كما كان لتلاشي جاذبية الأيديولوجيات الأخرى، خصوصاً الإسلام السياسي السلمي الذي تبنته حركة الإخوان المسلمين – المنافس الأيديولوجي الرئيسي للجهاديين – التي أضعفت بإطاحة الرئيس محمد مرسي وما تلاها من قمع في مصر. وقد ساعدت الأنشطة الدعوية للتيارات الإسلامية غير المتسامحة، في بعض الأماكن، على تهيئة الأرضية. إن التيارات الطائفية المنتشرة في جزء كبير من العالم الإسلامي تتعزز بوجود تنظيم الدولة وفي الوقت نفسه تقدم له العون.

"إن توسع الجهاديين هو نتاج لعدم الاستقرار وليس المحرك الرئيسي له، ويعود إلى التطرف الذي يحدث خلال الأزمات وليس قبلها، وهو مدين للاقتتال بين أعدائهم أكثر مما هو مدين لنقاط قوتهم."

لكن إذا كانت الجذور معقدة، فإن المحفز واضح بما فيه الكفاية. لقد وفر انزلاق معظم الثورات العربية التي اندلعت عام 2011 إلى الفوضى فرصة كبيرة للمتطرفين. لقد حشدت هذه الحركات قواها مع تفاقم وتطور الأزمات، ومع تدفق الأموال، والأسلحة والمقاتلين، ومعها تصاعد العنف. إن تنامي العداء بين الدول يعني أن قلق القوى الإقليمية من المتطرفين أقل من قلقها من التنافس التقليدي، وأنها تستخدم الحرب ضد تنظيم الدولة ضد أعداء آخرين أو تتساهل مع الجهاديين ليحاربوا نيابة عنها. في الشرق الأوسط بشكل خاص، يشكل توسع الجهاديين نتاجاً لعدم الاستقرار أكثر منه دافعاً رئيسياً له؛ ويعود إلى التطرف الذي يحدث خلال الأزمات وليس قبلها؛ وهو مدين للاقتتال بين أعدائهم أكثر مما هو مدين لنقاط قوتهم. نادراً ما تستطيع مثل هذه الحركات تعزيز قوتها أو الاستيلاء على أراضٍ خارج منطقة حرب أو دولة منهاره.

إن العوامل الجيوسياسية تعيق القيام برد متماسك. ينبغي أن تكون نقطة البداية إعادة عقارب التنافس السعودي – الإيراني الذي يدفع التطرف السني والشيعي، ويعمق الأزمات في سائر أنحاء المنطقة، ويشكل أحد أخطر التهديدات للسلم والأمن الدوليين اليوم، إلى الوراء. كما أن تخفيف حدة التوترات – بين تركيا والمقاتلين الأكراد، على سبيل المثال، وتركيا وروسيا، والأنظمة العربية المحافظة والإخوان المسلمين، وباكستان والهند، وحتى روسيا والغرب – أمر جوهري أيضاً. في ليبيا، وسورية واليمن، يتطلب التعامل مع الجهاديين تشكيل أنظمة جديدة تتسم بما يكفي من الجاذبية لاستنزاف صفوفهم وتوحيد قوى أخرى. إن أيّاً من هذا ليس سهلاً بطبيعة الحال. إلا أن مضاعفة الجهود لتضييق خطوط التصدع الأخرى سيكون أكثر حكمة من مجرد إخفاؤها والتوهم بالتوصل إلى إجماع ضد "التطرف العنيف".

كما أن من الحيوي التعلّم من الأخطاء التي ارتكبت منذ هجمات 11 أيلول/سبتمبر (2001). رغم الصلات والروابط العابرة للقوميات التي تربط بعض الحركات، فإن كل حركة متميزة وذات جذور محلية؛ ويتطلب كل منها رداً يتناسب مع سياقها. إلا أن جميع هذه الحركات يمكن أن تشكل مازق متشابهة وأن تستثير ردود فعل خاطئة متشابهة. ينبغي على القوى الرئيسية والإقليمية والحكومات في المناطق المتأثرة القيام بما يلي:

□ **التفريق لا الجمع:** إن استعداد الإسلاميين غير العنيفين، وخصوصاً الإخوان المسلمين، المستعدين للقبول بالتعددية السياسية والدينية والانخراط في السياسة يحدث أثراً عكسياً. كما أن من المهم التمييز بين الحركات الساعية للحصول على مكان داخل النظام الدولي وتلك التي ترغب بتفويضه. حتى تنظيم الدولة الإسلامية، وفروعه المحلية والمجموعات المرتبطة بالقاعدة، ورغم انتمائها إلى الفئة الثانية، فهي ليست ذات تركيبة أحادية متشابهة. في هذه المجموعات نوى صلبة ملتزمة بأهداف عابرة للأوطان، إلا أن لأفرادها العاديين دوافع متنوعة، وغالباً محلية ويمكن لولائها أن تتغير، بل ربما أن يتم تعبيرها، بتغيير الظروف. ينبغي على الحكومات التفريق حتى بين الحركات الراديكالية بهدف إنهاء العنف، بدلاً من حشر حركات أخرى تبحث عن سبب للقتال معها في نفس التصنيف.

□ **الاحتواء في غياب خيار آخر أفضل:** ينبغي أن يكون للقوى الأجنبية دائماً خطة قابلة للحياة للخطوة التي تعقب طرد المسلحين؛ وينطبق الأمر ذاته على سياسات الحكومات تجاه أراضيها النائية. إن الاستراتيجية المتبعة اليوم في العراق، والمتمثلة بتدمير المدن لإحراق الهزيمة بتنظيم الدولة على أمل أن يستعيد الزعماء السنة في بغداد شرعيتهم المفقودة من خلال إعادة الإعمار، من غير المرجح أن تعالج مظالم السنة أو توفر الظروف التي يمكنهم فيها تشكيل هوية سياسية جديدة. في ليبيا، ستكون عمليات القصف العنيفة أو نشر الجنود الغربيين ضد تنظيم الدولة دون تسوية سياسية أوسع أمراً خاطئاً، ومن المرجح أن يعمق حالة الفوضى. في كلتا الحالتين، سيجعل إبطاء العمليات العسكرية مخاطر جسيمة لكن، دون وجود بديل عملي، فإنه يشكل الخيار الأسلم – بالنسبة لأولئك الذين يفكرون بالتدخل وأولئك الموجودين في المناطق المتأثرة على حد سواء.

□ **استخدام القوة بشكل أكثر حكمة:** رغم أن القوة ينبغي أن تكون عادة جزءاً من الرد، فإن الحكومات تسرعت بالشروع في الحرب. إن الحركات المتجذرة في المجتمعات المحلية، التي تستغل مظالم حقيقية وفي بعض الأحيان تتلقى دعماً أجنبياً يصعب اقتلاعها، مهما كانت أيديولوجيتها غير جذابة. تظهر الحروب في الصومال وأفغانستان نواقص تعريف الأعداء على أنهم إرهابيون أو متطرفون عنيفون ومضايقة الجهود لبناء مؤسسات دولة مركزية من خلال العمل العسكري ضدهم في غياب استراتيجية سياسية أوسع تشمل المصالحة. كما لا يمكن تكرار مقاربة الأرض المحروقة التي اتبعتها روسيا في الشيشان – حتى بصرف النظر عن الكلفة البشرية – في المناطق المتأثرة اليوم، بالنظر إلى الحدود القابلة للاختراق، والدول المنهارة والحرب بالوكالة.

□ **احترام القواعد:** في كثير من الأحيان، فإن العمل العسكري ضد المتطرفين يساعدهم في تجنيد المقاتلين أو يترك مجتمعات محلية عاقلة بين حكمهم القاسي والعمليات التي تُشن ضدهم دون تمييز بين مدنيين ومقاتلين. تُعد قدرة الجهاديين على توفير الحماية من افتراس الأنظمة، والمليشيات الأخرى أو القوى الأجنبية بين أعضائهم، وتلعب دوراً أكثر محورية في نجاحهم مما يلعبه العامل الأيديولوجي. في حين أن هؤلاء يرتكبون الفظائع، فإنهم يقاتلون في صراعات تنتهك فيها جميع الأطراف القانون الإنساني الدولي. ينبغي أن تكون استعادة العمل بالقواعد أولوية.

□ **الحد من عمليات القتل المستهدف:** يمكن للضربات الجوية التي توجهها الطائرات بدون طيار، في بعض الأماكن، أن تعيق عمليات المجموعات وقدرتها على ضرب المصالح الغربية وحركة قادتها. لكنها تغذي الاستياء من الحكومات المحلية والغرب. تتمكن الحركات من تجاوز مقتل قادتها، وغالباً ما يكون القادة الذي يحلون محلهم أكثر تشدداً. يصعب التنبؤ بأثر عمليات القتل هذه على إقامة نظام مستقر بشكل معقول؛ أما فعل ذلك وسط حرب حضرية واقتتال بين الجهاديين – مع مواجهة القاعدة وآخرين لتنظيم الدولة – فهو مستحيل. حتى إذا وضعنا جانباً مسائل السرية، والقانونية والمساءلة، فإن عمليات القتل المستهدف لن تنتهي الحروب التي يشنها الجهاديون أو تضعف معظم الحركات بشكل حاسم.

□ **فتح خطوط اتصال:** رغم الصعوبات، على الحكومات أن تكون أكثر استعداداً للتحدث، حتى مع المتطرفين. على سبيل المثال، فقد تمت إضاعة فرص في الانخراط بطرق كان من شأنها أن تؤدي إلى تخفيف حدة العنف – مع بعض قادة حركتي طالبان والشباب، وبوكو حرام وأنصار الشريعة في ليبيا. إن القرار حول ما إذا كانت مجموعة ما غير قابلة للمصالحة هو قرار قادتها، وليس قرار الحكومات. رغم أنه لا يمكن أن يكون لدى صنّاع السياسات أية أوامير حيال طبيعة القيادات العليا لتنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة، فإن فرص فتح خطوط اتصال غير رسمية، وسرية، من خلال قادة المجتمعات المحلية، والوسطاء من غير الدولة أو آخرين، تستحق المحاولة، وخصوصاً فيما يتعلق بالقضايا الإنسانية، عندما يكون هناك مصالح مشتركة.

□ **تضييق أجندة "مواجهة التطرف العنيف":** باعتبار أجندة مواجهة التطرف العنيف محاولة تصحيحية للسياسات الأمنية لما بعد 11 أيلول/سبتمبر، التي أطلقتها في معظم الأحيان أطراف عاملة في الشأن التنموي، هي محاولة قيّمة؛ وكذلك هو الاعتراف بالظروف الكامنة التي من شأنها، في بعض الأحيان، تجنيد المتطرفين وتحويل الأموال من الإنفاق العسكري إلى المساعدات التنموية. إلا أن استخدام أنشطة مواجهة التطرف العنيف لمعالجة "الأسباب الجذرية"، خصوصاً تلك المتعلقة بالالتزامات الأساسية للدولة حيال مواطنيها – مثل التعليم، أو التوظيف أو الخدمات المقدمة للمجتمعات المحلية المهمشة – قد تثبت أنها قصيرة النظر. إن تصوير "التطرف العنيف"، وهو مصطلح لا يُعرّف بشكل صحيح ويبقى مفتوحاً على سوء الاستخدام، بوصفه تهديداً رئيسياً للاستقرار يخاطر بالتقليل من أهمية المصادر الأخرى للشهاشة، ونزع الشرعية عن المظالم السياسية ووصم المجموعات المحلية على أنها مجموعات من

المتطرفين المحتملين. على الحكومات والجهات المانحة التفكير بعناية بالأنشطة التي تضعها تحت أجندة مواجهة التطرف العنيف، وإجراء المزيد من الأبحاث حول مسارات التطرف والتشاور على نطاق واسع مع سائر أطراف الفئات الأكثر تأثراً.

□ **الاستثمار في منع الصراعات:** يعطي التوسع الأخير لتنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة جراحة جديدة من الإلحاح لعملية الوقاية، سواء خلال الأزمات، لوقف تحولها إلى التطرف، أو عند منابعها. إن أي انهيار آخر في الحزام الممتد من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا من المرجح أن يجتذب عناصر متطرفة – سواء أثارت هذه الحركات نفسها الأزمات أو، وهذا الأكثر ترجيحاً، استفادت من تصاعدها. رغم أن الوصفات العامة ذات قيمة محدودة، فإن حثَّ القادة على اتباع سياسات أكثر شمولية وتمثيلاً، ومعالجة مظالم المجتمعات المحلية وتبني ردود محسوبة بدقة على الهجمات الإرهابية يكون عادة عملاً منطقيًا. بشكل عام، وبعبارة أخرى، فإن منع الأزمات سيكون له أثر أكبر على احتواء المتطرفين العنيفين مما تحدثه مواجهة التطرف العنيف على منع الأزمات.

لقد شهد ربع القرن الأخير موجة من العنف الجهادي: أولاً: في مطلع التسعينيات، عندما انضم متطوعون كانوا يشاركون في الجهاد ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان إلى حالات تمرد في مناطق أخرى. القاعدة أطلقت الموجة الثانية التي بلغت ذروتها في هجمات 11 أيلول/سبتمبر. الموجة الثالثة أطلقها الغزو الأمريكي للعراق. أما الموجة الحالية الرابعة فهي أكثرها خطراً. ويعود هذا جزئياً إلى سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على الأرض وإلى ابتكاراته الأيديولوجية – أي استغلاله للاستياء السني المحلي والعداء الأوسع للمؤسسات. إلا أن خطورته تنبع على الأغلب من التيارات التي تدفعه، خصوصاً اضطرابات الشرق الأوسط وتوتر العلاقات بين الدولة والمجتمع هناك وفي أماكن أخرى. إن لمخاوف قادة العالم ما يبررها؛ حيث إن هجمات تنظيم الدولة الإسلامية تقتل مواطنيهم وتهدد تماسك مجتمعاتهم. إنهم يواجهون ضغوطاً كبيرة كي يتصرفوا. لكن عليهم أن يفعلوا ذلك بحكمة. إن اتخاذ خطوات خاطئة – سواء تمثلت في العمل العسكري المتسرع في الخارج؛ أو القمع الداخلي؛ أو وضع تقديم المساعدات في المرتبة الثانية بعد مواجهة التطرف؛ أو توسيع الفئة التي ينطبق عليها تعريف المجموعات المتطرفة؛ أو تجاهل التهديدات الأكثر حدة في الاندفاع لمحاربة "التطرف العنيف" – من شأنه أن يزيد من خطورة تلك التيارات الأعمق ومرة أخرى مساعدة الجهاديين على تجبير ذلك لمصلحتهم.

بروكسل، 14 آذار/مارس 2016

استغلال الفوضى: القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية

I. مقدمة

في مطلع عام 2011، بشرت الثورات في مصر، وتونس، وليبيا واليمن بحقبة جديدة في السياسة العربية. خرج المتظاهرون، وعلى رأسهم النساء في كثير من الأحيان، إلى الشوارع للمطالبة بقدر أكبر من الكرامة، والفرص والتعددية السياسية. وعند سقوط الحكام المستبدين، تمثل الراحون السياسيون في الأحزاب الإسلامية المستعدة للمشاركة بشكل سلمي في السياسات الديمقراطية.

بدأت أيديولوجيا وتكتيكات أسامة بن لادن – المتمثلة في الجهاد العنيف الذي يستهدف بشكل رئيسي القوى الغربية – غير منسجمة بشكل متزايد مع هذه التطورات.¹ بحلول ذلك الوقت كانت الضربات التي تشنها الطائرات دون طيار في المناطق القبلية في باكستان قد قتلت الجزء الأكبر من قيادات القاعدة، وفي أيار/مايو من ذلك العام قُتل بن لادن في أبوت آباد. بدأ حينذاك أن فرع القاعدة الأكثر وحشية، والذي عُرف بالقاعدة في العراق، قد هُزم.² باستثناء حركة الشباب في الصومال، بدأ الجهاديون هامشيين في الأزمات الأفريقية.³

"اليوم، الشرق الأوسط في حالة حرب، والراحون الرئيسيون حتى الآن هم المتطرفون. الحزام الأوسع الممتد من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا على الأقل يبدو هشاً."

اليوم، الشرق الأوسط في حالة حرب، والراحون الرئيسيون حتى الآن هم المتطرفون. الحزام الأوسع، من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا على الأقل يبدو هشاً. يدعي تنظيم الدولة الإسلامية أنه أقام خلافة على أجزاء كبيرة من العراق وسورية، فمحا الحدود بينهما، مضيفاً أعداداً جديدة وكبيرة للمقاتلين الذين كان معظمهم من العرب الذين ذهبوا إلى أفغانستان في ثمانينيات القرن العشرين واجتذب آلاف الأجانب من سائر أنحاء العالم. رغم خسارته للأراضي مؤخرًا، فإنه أقتع عشرات الحركات في مناطق أخرى بالانضمام إليه ونسق أو وجه هجمات في العالم الإسلامي والغرب. تعد جبهة النصر، التي تنتمي إلى القاعدة، أحد أقوى فصائل المعارضة السورية. وقد سمحت الأزمة المتصاعدة في اليمن لفرع آخر لها، أي القاعدة في شبه الجزيرة العربية، بالاستيلاء على المكلا، الميناء الاستراتيجي على خليج عدن، والمناطق المحيطة به.

يسيطر أحد فروع تنظيم الدولة الإسلامية على شريط يتراوح طوله بين 200 و300 كم على الساحل الليبي على البحر المتوسط ويهدد البنية التحتية للنفط، المصدر الرئيسي للدخل في البلاد. وثمة مجموعات مسلحة أخرى متخفية في مدنها وبلداتها. لا تزال المجموعات الجهادية، بما في ذلك القاعدة في المغرب الإسلامي، ورغم إخراجها من البلدان الواقعة في شمال مالي عام 2012، حرة طليقة في منطقة الساحل وأعلنت مسؤوليتها عن الهجمات الأخيرة في بامكو وواغادوغو.⁴

ملاحظة حول المصطلحات

يشير جذر كلمة "الجهاد" باللغة العربية إلى الكفاح في خدمة الله. العديد من المسلمين يجدون أن استخدامها في سياق العنف السياسي غير دقيق ومزعج. إنه يختزل مفهوماً دينياً معقداً، اتخذ على مدى قرون العديد من الأشكال، معظمها سلمي، في شن الحروب. من وجهة نظر الأغلبية العظمى من المسلمين، فإن "جهادي" اليوم يحرفون مبادئ الإسلام. إلا أنه من الصعب تحاشي هذا المصطلح.

أولاً، المجموعات التي يتناولها هذا التقرير تُعرّف نفسها غالباً على أنها "جهادية"؛ وتترك مجموعة الأزمات عادة الأمر للفاعلين للتحديث عن أنفسهم ووصف أنفسهم. ثانياً، في حين أن الجهاد كان منذ فترة

¹ انظر الصندوق في الصفحة 2 لشرح للمصطلحات، خصوصاً استخدام "الجهاد" و "الجهاديين".

² كان الفرع المحلي للقاعدة في العراق يُعرف بتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين (انظر القسم 3، أ).

³ تتعلق هذه الحاشية، في النص الإنكليزي بطريقة كتابة "الشباب" باللغة الإنكليزية؛ وتم الاحتفاظ بها في النص العربي للمحافظة على ترميم الحواشي وتيسير الإحالات المرجعية فيما بينها. (المترجم)

⁴ انظر أيضاً القسم 3. ج.

طويلة عنصراً مكوناً لجميع المذاهب الإسلامية، فإن أيديولوجيا "جهادية" وليدة قد ظهرت، وباتت أكثر من مجرد انعكاس لهذا التاريخ. الدعاة الأيديولوجيون، الذين يذهبون إلى أبعد من الفكر والممارسة الإسلاميين اللذين أديا إلى ظهور الجهاد الحديث في العقود الأخيرة، يستعبرون من تقاليد أخرى ويظهرون في بعض الأحيان إحباطهم من التصلب العقائدي السلفي الذي من شأنه أن يفرض قيوداً على التكتيكات القتالية. رغم وجود اختلافات كبيرة بين المجموعات "الجهادية"، فإنها تتشاطر بعض المبادئ الأيديولوجية مثل القتال من أجل العودة إلى مجتمع يسود فيه شكل أنقى من الإسلام؛ واستخدام العنف ضد الحكام الذين يعتقدون أن سياساتهم تتعارض مع الواجبات الإسلامية (كما يفهمها الجهاديون)؛ والاعتقاد بوجوب استخدام العنف عندما يتخلى الحكام المسلمون عن هذه الواجبات. لا يقصد باستخدامنا لمصطلح "جهادي" إضفاء الشرعية على هذا التفسير أو الانقاص من الجهود الرامية لتعزيز تفسيرات أخرى.

إننا نتجنب غالباً مصطلح "المتطرف العنيف"، بالنظر إلى أن المجموعات التي يغطيها هذا التقرير تمثل واحداً فقط من أشكال "التطرف العنيف" – أي التطرف السني – ويستكشف القسم IV، د، آثار السياسة الخطيرة المحتملة باستخدامه. بالطبع، فإن جمع حركات ذات أهداف وتكتيكات مختلفة ومتنوعة في تصنيف واحد بعينه، سواء كان "جهادي" أو "متطرف عنيف"، إلى حد ما ليس مفيداً. إننا نفصل بين، وحتى داخل، أكثر الحركات تشدداً في سائر أجزاء هذا التقرير ونوصي صناعات السياسات بفعل الشيء نفسه. إننا نستخدم مصطلح "إرهابي" فقط كصفة وحسب لوصف محاولة استخدام العنف أو التخويف، خصوصاً ضد المدنيين، لتحقيق أهداف سياسية من خلال استغلال عامل الخوف. رغم أنه يمكن للاعبين من الدولة وغير الدولة على حد سواء استخدام تكتيكات إرهابية، فإننا نستخدمه هنا لوصف أفعال اللاعبين من غير الدولة.

بوكو حرام، وهي حركة مسلحة شريرة نشأت أصلاً في شمال نيجيريا، استولت على منطقة في الشمال الشرقي للبلاد في 2013-2014 ولا تزال ترهب منطقة واسعة حول بحيرة تشاد. وتشكل حركة الشباب تهديداً متزايداً يتجاوز قاعدتها في الصومال، ليصل خصوصاً إلى كينيا. في أفغانستان، عادت طالبان إلى البروز، بينما تنضم مجموعات أخرى، بما فيها عناصر باكستانية، ومن آسيا الوسطى وغيرها من العناصر الأجنبية والمنشقة عن طالبان، إلى تنظيم الدولة الإسلامية. لا تزال باكستان، ورغم جهودها لكبح جماح بعض المتطرفين، تواجه تهديداً متعدد الأذرع من الميليشيات القبلية، والمجموعات الطائفية والمجموعات التي تقاوم بالوكالة عنها. رغم أن روسيا سحقت تمرداً جهادياً في شمال القوقاز قبل أولمبياد سوشي، فإن عملياتها أدت إلى نزوح الآلاف المقاتلين إلى العراق وسورية، بينما انضم ما تبقى منهم في القوقاز إلى تنظيم الدولة الإسلامية.⁵

لقد كان التطرف في العالم الإسلامي بين مد وجزر على مدى ربع القرن الأخير لكنه لم يبدُ في أي وقت من الأوقات أخطر مما هو اليوم. بات تنظيم الدولة الإسلامية والمجموعات المرتبطة بالقاعدة بين أقوى اللاعبين في العديد من أخطر أزمات العالم وقد تستغل الانقسامات في أمكنة أخرى؛ بينما تهدد التكتيكات المتقدمة التي تستخدمها هذه التنظيمات في التجنيد، خصوصاً تلك التي يستخدمها تنظيم الدولة الإسلامية، بلداناً لم تتأثر بعد.

ثمة اختلافات كبيرة جداً بين معتقدات، واستراتيجيات، وتكتيكات وأهداف المجموعات، إلا أنها جميعاً، وطبقاً لتصريحاتها وبياناتها، تهدف إلى إعادة المجتمع إلى شكل أنقى من الإسلام وتعتقد بأن الانخراط في جهاد عنيف لتحقيق ذلك يعد واجباً دينياً. معظم هذه المجموعات تعرّف نفسها على أنها "جهادية" إلى درجة معينة، بصرف النظر عن إشكالية المصطلح وطبيعته المراوغة ومضامينه المتعددة.⁶ معظم هذه المجموعات كان لها صلات، في لحظة معينة، مع القاعدة. ويخطئ العديد من صناعات السياسات في حشرها جميعاً في تصنيف واحد.

يتناول هذا التقرير المشهد الجهادي اليوم. لماذا أصبحت هذه المجموعات بهذه القوة؟ ماذا تريد، وكيف تعمل على تحقيق ما تريد؟ كيف تكسب الدعم وتسيطر على الأرض في الوقت الذي لم تحظ فيه أيديولوجيتها، على الأقل حتى وقت قريب، بحاضنة طبيعية؟ كيف تسهم في تشكيل الصراعات التي تخوضها وما هي آفاق إنهاء هذه الصراعات؟ ما هي التهديدات التي تشكلها في أماكن أخرى؟ وكيف ينبغي على العالم أن يرد؟ يستند التقرير إلى النتائج التي توصل إليها العمل الشامل الذي قامت به مجموعة الأزمات حول أخطر الأزمات

⁵ Crisis Group Europe Report N°238, *The North Caucasus Insurgency and Syria: Exported Jihad?*, forthcoming 16 March 2016، الذي يصدر في 16 آذار/مارس 2016.

⁶ استثناء بارز على هذا يتمثل في أحرار الشام، انظر الحاشية 87. انظر أيضاً الصندوق في الصفحة 2.

التي برزت فيها تلك الحركات، ويتوسع في هذه النتائج، ويركز بشكل خاص على الشرق الأوسط، بالنظر إلى ونبرة التغيرات هناك، لكنه يشمل أيضاً غرب أفريقيا، ومنطقة الساحل، والقوقاز، وشمال أفريقيا، والقرن الأفريقي وآسيا الوسطى وجنوب آسيا.⁷

لا يتناول التقرير حركة الإخوان المسلمين وفروعها، بما فيها حماس. رغم وجود بعض الجذور المشتركة، فإن الحركة نأت بنفسها على مدى عقود عن المفكرين الذين يلهمون القاعدة، وقد تكون المنافس الأيديولوجي الرئيسي للجهاديين، رغم أن حملة القاهرة ضدها أغرقتها في حالة من التشتت وتركت مستقبلها غير مؤكد. يهاجم تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة العديد من مبادئ وممارسات الإخوان، بما في ذلك، على المستوى السياسي، التدرجية في تطبيق الشريعة الإسلامية والمشاركة في الحياة السياسية الديمقراطية. من حيث المنهج العقائدي، فإن مرونة وبرجماتية الإخوان – وحماس – يميزها عن حرفية السلفيين وطالبان. على مدى السنوات القليلة الماضية، تعززت حظوظ الجهاديين، خصوصاً في العالم العربي، مع تراجع حظوظ الإخوان المسلمين.

كما أن التقرير لا يتناول التشدد الشيعي، رغم أن راديكالية الحكومات والمليشيات الشيعية التي ترعاها إيران في مختلف أنحاء الشرق الأوسط والعنف الذي تعرّض له السنة العراقيون والسوريون على أيديها شكلت دوافع رئيسية للتطرف السني. لقد غطى العديد من تقارير مجموعة الأزمات أصلاً هذا المجال، إضافة إلى الأصولية البنيتيكوستالية،* وجيش الرب للمقاومة في أفريقيا، والتطرف البوذي والمسيحي في آسيا، وشرائح واسعة من أقصى اليمين اليهودي في إسرائيل والأشكال الأخرى للعنف الذي يتبنى إطاراً دينياً.⁸

تتناول الأجزاء الآتية من التقرير الأصول، والاتجاهات والعوامل الجيوسياسية الكامنة وراء التوسع الجهادي الذي حدث مؤخراً (II)؛ ويقدم لمحة سريعة عن المشهد المتغير (III)؛ ويستكشف الخيارات المتاحة في السياسات (IV). وسيتم التركيز بشكل رئيسي ليس على كيفية تحول الأفراد إلى التطرف بل على الكيفية التي أصبحت الحركات المتطرفة من خلالها بارزة في العديد من أخطر الأزمات الراهنة في يومنا هذا؛ كما لا يتم التركيز على ما نقوله هذه المجموعات وقادتها بقدر ما يتم التركيز على ما تفعله ويفعلونه. يهدف التقرير الطريق لتطوير إطار أوسع لعمل مجموعة الأزمات، وتحديد المجالات التي يمكن فيها إجراء المزيد من الأبحاث حول طبيعة هذه المجموعات، وتفاعلها مع الأزمات، والتحديات والمازق التي تشكلها في مجال السياسات والأفكار المتعلقة بكيفية الرد عليها.

7 العمل الشامل الذي قامت به مجموعة الأزمات حول التطرف العنيف متوافر على موقعها، www.crisisgroup.org. يركز هذا التقرير بشكل أساسي على الحالات التي تمكن فيها تنظيم الدولة الإسلامية – أو المجموعات المرتبطة بالقاعدة من الاستيلاء على الأراضي أو تلك التي يبدو أن ثمة مخاطرة في الاستيلاء عليها. ويغطي أوروبا – والعديد من الأماكن الأخرى التي يأتي منها المقاتلون الأجانب أصلاً – لكن فقط إلى الحد الذي تؤثر فيه الهجمات هناك على حسابات قادة تلك البلدان. ولأسباب مشابهة، فإنه لا يغطي جنوب شرق آسيا؛ حيث إن المجموعات هناك صغيرة نسبياً، وفي المناطق الأربع التي تشكل فيها مصدر قلق، أي جنوب تايلند، وجنوب الفلبين، وإندونيسيا وروهنديا في ميانمار، فإن التطرف بحد ذاته لا يحظى بالكثير من القبول. لقد أعلنت مجموعات هامشية مباعثها للجهاديين – فقد أصدر أبو سباف مقطع فيديو يقبل فيه بالخلافة، وكذلك سانتوزو، قائد حركة المجاهدين الصغيرة في إندونيسيا في وسط سولاويزي؛ وقد كان للجماعة الإسلامية في إندونيسيا علاقات قديمة مع القاعدة – إلا أن أيًا من هذه الجماعات لم تحقق نفوذاً كبيراً. رغم أن تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة يتواصلان معها، فإن المجموعات المسلحة الرئيسية تبقى متمسكة بقومية عرقية – دينية وليس بالجهاد العالمي. علاوة على ذلك، فإن الدول التي تنشط فيها هي دول قوية، وفيها مؤسسات فاعلة؛ قومية، لكن ليس إلى الدرجة التي توفر فيها فضاءً للجهاديين. سمح التقدم الديمقراطي والاقتصادي في المنطقة على مدى العقود الثلاثة الماضية بوجود معارضة سلمية، ودرجة أكبر من الارتقاء الاجتماعي ونموذجاً للنمو يؤمن به معظم السكان. توجد المجموعات الجهادية وستستمر في مهاجمة الأهداف المحلية والأجنبية، خصوصاً في إندونيسيا، إلا أن تكتيكاتها وأيديولوجيتها لا تحظى بالقبول في الظروف الإقليمية الراهنة، ومن غير المرجح أن تصل إلى كتلة حرجة يمكن أن تهدد المجتمع أو الدولة. حتى في جنوب الفلبين، إذا انهارت محادثات السلام، فإن معظم السكان المحليين يعتقدون بأن الخطر يكمن في ظهور أمراء الحرب، وليس الإسلام المتشدد. كما أن ثمة تقارير حول جنوب شرق آسيا على موقع مجموعة الأزمات www.crisisgroup.org.

* حركة متشددة في المسيحية البروتستانتية (م)

8 انظر، على سبيل المثال، تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط، رقم 38، "إيران في العراق: ما مدى النفوذ؟" 21 آذار/مارس 2005؛ ورقم 89، "اليمين الديني في إسرائيل وقضية المستوطنات"، 20 تموز/يوليو 2009؛ ورقم 104، "الإسلاميون الراديكاليون في غزة"، 29 آذار/مارس 2011؛ ورقم 153، "حزب الله يتوجه شرقاً نحو سورية"، 27 أيار/مايو 2014؛ ورقم 154، "الحوثيون: من صعدة إلى صنعاء"، 10 حزيران/يونيو 2014؛ وإحاطة حول الشرق الأوسط رقم 45، "اليمين في حالة حرب"، 27 آذار/مارس 2015؛ و "Asia Report N°251, The Dark Side of Transition: Violence Against Muslims in Myanmar", 1 October 2013; Africa Report N°229, Cameroon: The Threat of Religious Radicalism, 3 September 2015؛ ورقم 147، "المجموعات الصهيونية المتدينة والصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2013. انظر أيضاً، "Christianisation" and Intolerance, Asia Briefing N°114, Indonesia: 24 November 2010; Asia Report N°134, Sri Lanka's Muslims: Caught in the Crossfire, 29 May 2007; and Africa Report N°182, The Lord's Resistance Army: End Game?, 17 November 2011.

II. موجة رابعة

يشكل توسع تنظيم الدولة والقاعدة على مدى السنوات القليلة الماضية الموجة الرابعة في سلسلة من موجات العنف الجهادي التي تؤثر بشكل أساسي على العالم الإسلامي منذ سقوط الحكومة التي دعمها الاتحاد السوفييتي في أفغانستان عام 1989.⁹ شهدت الموجة الأولى، في مطلع تسعينيات القرن العشرين عودة العديد من المتطوعين الأجانب الذين كانوا يقاتلون في أفغانستان إلى الجزائر، والقوقاز، ومصر، وليبيا، والسودان ومناطق أخرى. في بعض الأماكن، تجمعت خلايا صغيرة حول قادة يمتعون بالكاريزما اكتسبوا تجربتهم في أفغانستان، وأطلقوا حملات تمثلت بشكل أساسي بهجمات إرهابية أدت إلى مقتل مدنيين، ضد الأنظمة التي أعلنوها غير إسلامية. في مناطق أخرى، انضم المحاربون السابقون في أفغانستان إلى صراعات على الأراضي، أو ثورات أو حروب أهلية، أحياناً، خصوصاً في الجزائر وروسيا (الشيشان)، ما أسهم في تحولهم نحو التطرف. تلاشت هذه الموجة بحلول أواسط تسعينيات القرن العشرين، مع انتهاء الحروب أو سحق الحركات أو إخراجها من تلك البلدان. انسحب العديد من أعضائها إلى أفغانستان، التي كانت حينها تحت سيطرة طالبان.

ومن هناك، شنت القاعدة موجة ثانية استهدفت بشكل رئيسي ما سمته "العدو البعيد". وكان هدفها جر القوى الغربية إلى حروب يمكن أن تُهزم فيها، كما حدث للسوفييت في أفغانستان، ما سيدفعها لوقف دعمها لأنظمة المنطقة، وتسريع سقوطها. مع وصول محطات التلفزة الفضائية الناطقة باللغات المحلية إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي، شن أسامة بن لادن هجمات اتسمت بالإثارة المشهية، وجّه معظمها إلى المصالح الغربية، لجذب الانتباه وتعزيز موقعه في طليعة الحركة الجهادية العالمية. وصلت هذه الموجة إلى أوجها في هجمات 11 أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة، التي عارضها قادة طالبان والعديد من "الأفغان العرب" الذين كانوا يقاتلون لصالح طالبان ضد التحالف الشمالي أو في معسكرات التدريب المنتشرة في سائر أنحاء البلاد. كانوا يخشون، وهم على حق، من أن رد الفعل الأمريكي الذي حاول بن لادن إثارته سيدمر إمارة طالبان ويحرمهم من الملاذات الآمنة التي كانت توفرها لهم.¹⁰ أخرجت القوات المدعومة من الولايات المتحدة طالبان بسرعة. وقتل العديد من المقاتلين الأجانب أو سجنوا؛ ولجأ آخرون إلى المناطق القبلية في أفغانستان أو تشتتوا في مناطق أخرى.

غذى الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 موجة ثالثة، وأعاد إحياء الحركة الجهادية مع انتقال آلاف المسلمين، العديد منهم من الخليج وشمال أفريقيا، لقتال الأمريكيين في قلب العالم العربي.¹¹ الصحوات، وهي حالة من انتفاض القبائل بدعم من الولايات المتحدة ضد فرع القاعدة في العراق، والتي أتت بشكل أساسي كرد فعل على وحشية الحركة، قضت على هذه الموجة.¹² ثم أتت احتجاجات الربيع العربي التي انتشرت في البلدان والمدن عام 2011 لتوقف هذه العملية.

إلا أن انهيار أو قمع معظم تلك الثورات أدى إلى ظهور موجة رابعة. هذه الموجة، الأقوى من سابقتها، شهدت استيلاء تنظيم الدولة الإسلامية والمجموعات المرتبطة بالقاعدة على الأراضي، وإحراز أكثر من موطئ قدم في أفريقيا وتشكيل تهديد متزايد في جزء كبير من العالم الإسلامي والغرب. ثمة مخاطرة في

⁹ رغم أن جذور الأيديولوجيا الجهادية تمتد أبعد من ذلك بكثير، فإن الأصول الحديثة للموجة الرابعة يمكن تتبعها إلى: أولاً، الجهاد ضد السوفييت في أفغانستان، عندما ذهب آلاف المتطوعين الأجانب، الذين كانوا يُعرفون بـ "الأفغان العرب"، لمحاربة القوات السوفييتية، والأسطورة القائلة بأن هؤلاء الأجانب أجبروا الغزاة على الانسحاب، والتي أصبحت جزءاً من الرواية التأسيسية للقاعدة، في حين كان دورهم لا يذكر بالمقارنة مع المجاهدين الأفغان؛ ثانياً، العنف الثوري الذي مُرس بوحى من سيد قطب ومعاصريه في مصر ضد حكومة الرئيس جمال عبد الناصر؛ وثالثاً، الثورة الإيرانية وما تلاها من دعم إيراني للناشطين الشيعة في بعض أنحاء العالم الإسلامي، وهو ما أدى إلى رد تمثل في تمويل السعودية وغيرها من دول الخليج للراديكاليين السنة. تستلهم مختلف الحركات اليوم هذه الاتجاهات المتعددة - معاداة الإمبريالية، والثورية والطائفية - للتفكير الجهادي. إن تنظيم الدولة الإسلامية يمثلها جميعاً، إلى حد ما (انظر القسم III، أ). يتناول كتاب جيسون بيرغ حروب 11 أيلول/سبتمبر (The 9/11 Wars Jason Burke, The (9/11 Wars (London, 2011) المد والجزر في العنف المتطرف على مدى العقود القليلة الماضية؛ وكذلك دانييل بايمن، القاعدة، وتنظيم الدولة الإسلامية والحركة الجهادية العالمية (Daniel Byman, Al-Qaeda, the Islamic State and the Global Jihadist Movement (Oxford, 2015).

¹⁰ Mustafa Hamid and Leah Farrall, *The Arabs at War in Afghanistan* (London, 2015). انظر أيضاً الجماعة الإسلامية، "استراتيجيات وتفجيرات القاعدة: الأخطاء والمخاطر"، الشرق الأوسط، 2004، لمرآة المقاومة الأوسع في أواسط الحركات الإسلامية الراديكالية للهجمات. أدى رفض الملا عمر تسليم بن لادن، رغم مخاوف طالبان حيال هجمات 11 أيلول/سبتمبر وحث باكستان، إلى التدخل الأمريكي في أفغانستان.

¹¹ Thomas Hegghammer, "The Rise of Muslim Foreign Fighters", *International Security*, winter 2010/2011.

¹² للمزيد، انظر تقرير مجموعة الأزمات رقم 74، "العراق بعد الحشد (I): المشهد السني الجديد"، 30 نيسان/أبريل 2008، ورقم 75، "العراق بعد الحشد (II): الحاجة إلى استراتيجية سياسية جديدة"، 30 نيسان/أبريل 2008؛ ورقم 144، سنة العراق والدولة: فرصة كبرى أو خسارة فادحة"، 14 آب/أغسطس 2013؛ ورقم 150، "العراق: الصفقة الخاسرة في الفلوجة"، 28 نيسان/أبريل 2014.

إصدار التعميمات حول التيارات الأعمق التي تقود هذه الموجة الرابعة، خصوصاً وأنها ما تزال مستمرة في اندفاعتها. تتفاوت الديناميكيات بين المناطق المختلفة: من مناطق الحروب في الشرق الأوسط؛ إلى صراع الأفارقة للتعامل مع انتشار عدم الاستقرار إلى الجنوب؛ إلى الإرث الطويل لبكستان ودعمها المتكرر للجهاد في جنوب آسيا. كل من هذه الحركات له خواص فريدة؛ ورغم الصلات العابرة للأوطان لبعضها، فإن معظمها متجذر في الظروف المحلية. كما تتفاوت أنماط التحول نحو الراديكالية من مكان إلى مكان. كحال أي نزعة عالمية، فإن توسع الجهاديين ينجم عن أشياء مختلفة تحدث في أماكن مختلفة، بعضها مترابط مباشرة، وبعضها بشكل غير مباشر وبعضها غير مترابط على الإطلاق.

إلا أن أسبابها المباشرة واضحة بما يكفي وتفسر لماذا قد تكون هذه الموجة الرابعة الأكثر تدميراً وعكسها الأكثر صعوبة. هناك، أولاً وقبل كل شيء، الاضطرابات المنتشرة في جزء كبير من العالم العربي. لقد أنتت المكاسب التي يحققها الجهاديون منذ أمد بعيد مصاحبة للصراع، من أفغانستان إلى الجزائر، ومن العراق إلى سورية. وقد أتاح التصاعد الدراماتيكي الأخير في الحرب وانهيار الدول فرصة كبيرة لها. في هذه الأثناء، فإن العداوات بين الدول في الشرق الأوسط وعلى مستوى قزم الموجات السابقة، يعني أن القوى الإقليمية ليست قلقة من المتطرفين بقدر ما هي قلقة من خصومها، بل إنها تتساهل سراً مع هذه المجموعات وتستعملها في حروبها بالوكالة.

تصب الطائفية والشعور العميق لدى السنة بأنهم ضحايا، وهو الشعور الذي ساعدت الحرب في العراق وسورية والتصورات بتصاعد قوة إيران على تعزيزه، في مصلحة المتطرفين. وكذلك الأمر بالنسبة للفشل في الحكم، وردود الفعل القمعية والقضاء على البدائل المشروعة والقابلة سياسياً للحياة، التي تعزز كلها إدانة الجهاديين للأنظمة المحلية الفاسدة وتسهم في تنامي المشاعر المعادية لمؤسسات الدولة في سائر أنحاء المنطقة. لقد أثبتت الدول الضعيفة التي لا تتمتع بالسيطرة على سائر أراضيها أو حدودها أنها هشة، خصوصاً في أفريقيا. لقد أسهم النشاط الدعوي المثابر للتيارات غير المتسامحة في الإسلام على مدى عقود وتراجع جاذبية الأيديولوجيات التي يمكن استخدامها لمقاومة لهذه التيارات في تهيئة الأرضية لذلك.

أ. فرصة في الفوضى

كانت المظالم التي دفعت السوريين إلى الخروج إلى الشوارع عام 2011 شبيهة جداً بتلك التي تسببت في الثورات العربية الأخرى. في البداية لم يدع معظم المتظاهرين إلى تنحي الرئيس بشار الأسد، بل طالبوا بإصلاح حكومته المتصلبة والقمعية على نحو متزايد، وفتح الفضاء السياسي وتحسين الإدارة الاقتصادية. على مدى 18 شهراً، تحولت الاحتجاجات السلمية إلى ما أصبح، على الأقل في أجزاء من الشمال، إلى حركة مسلحة يهيمن عليها الجهاديون لأسباب مختلفة جداً.¹³ الأكثر أهمية كان رد النظام المتمثل في الدفع المتعمد للأزمة نحو الراديكالية من خلال العنف الشرس والمغصى إعلامياً؛ والخطاب الطائفي التقسيمي، الذي يضع الطائفة العلوية الحاكمة والأقليات الأخرى في مواجهة مع الأغلبية السنية؛ وتصاعد العقاب الجماعي الذي دمر المدن وساعد في تهجير الملايين؛ وإطلاق سراح الراديكاليين الجهاديين من السجون واستهداف فصائل المعارضة الأكثر براغماتية.¹⁴

"هذا النمط، المتمثل في استغلال الجهاديين للفرص التي توفرها الحرب وانهيار الدول، ومساهمة العنف وأخطاء الآخرين في تيسير صعودهم، نمط شائع".

¹³ انظر تقارير مجموعة الأزمات رقم 163، "مقاربة جديدة في جنوب سورية"، 2 أيلول/سبتمبر 2015؛ ورقم 155، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة: حلب وحالة الحرب السورية"، 9 أيلول/سبتمبر 2014؛ ورقم 146، "كل شيء إلا السياسة: حالة المعارضة السياسية السورية"، 17 تشرين الأول/أكتوبر 2013؛ ورقم 143، "انتشار ورم الصراع في سورية"، 27 حزيران/يونيو 2013. وأيضاً Charles Lister, *The Syrian Jihad: al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency* (Hurst, 2015); Nicolas Hénin, *Jihad Academy: The Rise of the Islamic State* (Bloomsbury, 2015).

¹⁴ لقد عاش العلويون، الذين يشكلون حوالي 12% من السكان في سورية، تاريخياً وبشكل رئيسي في السلاسل الجبلية الواقعة في الشمال الغربي، على طول الساحل السوري على البحر المتوسط؛ واليوم يعيش العديد منهم في دمشق وحمص أيضاً. تختلف الروايات حول أصولهم الدينية؛ ويرجح أن يكونوا جزءاً من الفرع الشيعي الاثني عشري في الإسلام. انظر Henri Laoust, *Schismes dans L'Islam* (Paris, 1977), p. 147. عندما أصبح حافظ الأسد رئيساً عام 1971، طلب المساعدة من الإمام موسى الصدر، رجل الدين الشيعي البارز في لبنان، للمصادقة على أن العلويين مسلمين وشيعة. أصدر الصدر فتوى بهذا المعنى. Patrick Seale, *Asad: The Struggle for the Middle East* (Berkeley, 1988), p. 173.

في الوقت نفسه، فإن الاحتكاكات بين قطر وتركيا من جهة، والسعودية والإمارات العربية المتحدة من جهة أخرى، كانت تعني أن دعماً للمعارضة كان غير متماسك وتشوبه الأخطاء في كثير من الأحيان، كحال الدعم الذي يقدمه رجال دين موجودون في الخليج للمجموعات المتطرفة التي تحارب بالوكالة. كان المقاتلون الأجانب، الذين يكونون في العادة أكثر راديكالية، ولفترة زمنية معينة، يدخلون بحرية من تركيا.¹⁵ الفجوة بين خطاب الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية – بأن على الأسد أن يرحل – وواقع أنها لم تكن مستعدة لإرسال قوات برية، أو شن غارات جوية أو تسليح معارضية بشكل يكفي لتحقيق ذلك أدت إلى تقويض المجموعات الأقل راديكالية، والتي كانت استراتيجيتها قد تمحورت حول دفع واشنطن إلى التدخل. دخل الجهاديون، الذين كان العديد منهم قد اكتسب تجربة قتالية في العراق، وأثبت بعضهم، خصوصاً أبو محمد الجولاني، زعيم الفرع المحلي لتنظيم القاعدة، جبهة النصر، أنهم قادة فعالون. منحتهم تكتيكات مثل التفجيرات الانتحارية تقدماً في الميدان. حرّك العنف الكبير الذي مارسه النظام الرغبة بالانتقام في أوساط السنة وقّص مشاعر الاستنكار للفظاعات التي يرتكبها الجهاديون.

تتفاوت المسارات التي جعلت الجهاديين أقوياء في صراعات اليوم من مكان إلى آخر، إلا أن استغلالهم للفرص التي توفرها الحرب وانهيار الدولة، وسهولة صعودهم بسبب العنف وأخطاء الآخرين، يشكل نمطاً متكرراً بالنسبة للعديد منهم.

تكمّن جذور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق (ما يتم استكشافه بتفصيل أكبر في الجزء III، أ) في خليط مشابه. غزو الولايات المتحدة وسياسات الاحتلال هيأ الأرضية المناسبة لاندلاع الحرب الأهلية الطائفية (2008-2005) التي ساعد أبو مصعب الزرقاوي، قائد القاعدة في العراق، التنظيم السابق لتنظيم الدولة، على إثارتها. كما أن ما لا يقل أهمية عن ذلك كان فشل بغداد وواشنطن في الاستفادة من الصحوحات. حرمان الأقلية السنية من حصة كافية في الدولة، ثم العنف الذي مارسه قوات الأمن التي يهيمن عليها الشيعة ضد الاحتجاجات السلمية في الغالب في المدن ذات الأغلبية السنية في الفترة 2012-2013 قوّض القيادة السنية والمقاومة غير الجهادية. أفسحت هذه التطورات المجال أمام تنظيم الدولة، الذي كان قد أعاد التجمع، لإبادة الخصوم والسيطرة على المناطق السنية الداخلية عام 2014، حيث سعى العديد من السنة إليه بحثاً عن الحماية أو لأنهم رأوا في ذلك فرصة لتقويض الوضع الراهن.¹⁶

في اليمن، ركز الفرع المحلي للقاعدة، القاعدة في شبه الجزيرة العربية، بشكل أساسي على الهجمات الإرهابية حتى عام 2011. وكان يشكل خطورة على الغرب بسبب خبرته في صنع القنابل، لكنه ظل هامشياً في السياسة اليمنية ومنعزلاً في المناطق الشرقية النائية.¹⁷ فقط عندما انهارت الدولة – أولاً مع دخول فصائل الجيش في مواجهة بين بعضها بعضاً في العاصمة خلال ثورة عام 2011، ثم عام 2015 مع تقدم المتمردين الحوثيين، وتساعد رد التحالف الذي تقوده السعودية – أصبح بإمكانها الاستيلاء على المراكز السكنية.¹⁸

في ليبيا أيضاً استفاد تنظيم الدولة والمجموعات المتطرفة الأخرى من انهيار السلطة: أولاً في الفوضى التي نشأت بداية بعد الإطاحة بمعمر القذافي عام 2011، ثم، في عام 2014، من تصاعد المواجهة بين القوى المتحالفة مع كل من طبرق وطرابلس والداعمين الإقليميين لكل منها.¹⁹ في مالي كان الزعماء المحليون لتنظيم القاعدة، والمحاربون القدماء من حربي أفغانستان والجزائر، قد لجؤوا إلى القبائل في الصحراء منذ سنوات قبل أن يتحالفا مع تمرد قومي للطوارق، ومن ثم صادروا التمرد لمصلحتهم، ذلك التمرد الذي تسببت به بشكل رئيسي عودة المرتزقة والأسلحة من ليبيا.²⁰ ظهرت حركتا طالبان والشباب فقط بعد عقود من

¹⁵ Sally Judson and Kadir Udson, "Turkey's ISIS Challenge", SETA, September 2014. يعترف المسؤولون الغربيون بأن إغلاق الحدود بشكل كامل سيكون مستحيلًا وبأن تركيا، على الأقل منذ آذار/مارس 2014، عملت على وقف تدفقهم. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي غربي، أنقرة، شباط/فبراير 2015.

¹⁶ انظر، على سبيل المثال، تقارير مجموعة الأزمات، "العراق: الصفقة الخاسرة في الفلوجة"، 28 نيسان/أبريل 2014. Gregory D. Johnsen, *The Last Refuge: Yemen, al-Qaeda and America's War in Arabia* (New York, 2014).

¹⁸ تقرير مجموعة الأزمات رقم 114، "نقطة الانهيار؟ قضية اليمن الجنوبي"، 20 تشرين الأول/أكتوبر 2011، ورقم 167، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، 9 شباط/فبراير 2016.

¹⁹ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا رقم 157، "ليبيا: البناء السليم على محادثات جنيف"، 26 شباط/فبراير 2015.

²⁰ Crisis Group Africa Briefing N°90, *Mali: The Need for Determined and Coordinated International Action*, 24 September 2012; Africa Report N°92, *Islamist Terrorism in the Sahel: Fact or Fiction?*, 31 March 2005.

الفوضى في أفغانستان والصومال، وفي كلتا الحالتين جزئياً كرد فعل على ضراوة أمراء الحرب وتراجع شرعية المجموعات المسلحة الأخرى.²¹

تشكل حركة بوكو حرام في شمال نيجيريا استثناءً على هذه القاعدة، من حيث أنها لم تنشأ في منطقة حرب قائمة أصلاً. بدأت الحركة، المتجذرة في العنف البيئي والاقتصاد السياسي المهمش في الشمال، كطائفة منعزلة، ومن ثم كحركة احتجاجية تطالب بحكم إسلامي أقل فساداً. تصلّبت مقاومتها للدولة بعد نزاعها مع الحاكم المحلي، الذي كان، طبقاً لزعيمها حينذاك، محمد يوسف، قد أخلف بوعود قطعها لها مقابل مساعدتها في حشد الناخبين لصالحه. لكن حتى حينذاك، فإن أعمال القمع التي مورست في مايدوغوري عام 2009، التي قُتل فيها 800 من أنصارها؛ ومقتل يوسف خارج القانون أثناء احتجازه من قبل الشرطة، والرد الحكومي غير الكفو على التهديدات المتنامية؛ ووصول الأسلحة والخبرات من ليبيا والساحل هي التي دفعت إلى تحول الحركة إلى حركة تمرد مسلحة بقيادة أبو بكر شيكاو وحلّت كالوباء على حوض بحيرة تشاد اليوم.²²

لذلك، وبشكل عام، فإن تنامي حضور الجهاديين على مدى السنوات القليلة الماضية هو نتاج لعدم الاستقرار أكثر من دوافعه الأساسية. لقد حشدت الحركات قواها مع تعمق الأزمات وتصاعد العنف. في بعض الحالات، خصوصاً في حالة بوكو حرام، ساعد المتطرفون على إثارة الصراعات التي يقاتلون فيها – رغم أنه هناك، كما في أماكن أخرى، لعبت الدولة دوراً محورياً في نموها. في معظم الأحيان، استغل الجهاديون الصراعات القائمة، كما فعلوا في الجزائر والشيشان قبل عقدين من الزمن، حيث اخترقوها، واستفادوا منها وجعلوها عصية أكثر على الحل. بعبارة أخرى فإن توسعهم الدراماتيكي في السنوات الأخيرة مدين لأصول الأزمات وتطوراتها الدموية أكثر مما هو مدين للتحول نحو الراديكالية الذي سبق نشوء هذه الأزمات. لقد تمكنت عادة من التحول من ممارسة التكتيكات الإرهابية إلى مجموعات مسلحة متمردة فقط في ظروف الحرب؛ حيث إن استراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية، كما يتم إيضاحه أدناه، وكذلك استراتيجية القاعدة إلى حد ما، تستند إلى تهيئة تلك الظروف بالذات.

ب. الأولوية الثانية

لقد شكلت العداوات الجيوسياسية المتصاعدة مكسباً آخر للمتطرفين؛ حيث ولدت الحركة الجهادية الحديثة جزئياً من التنافس بين الدول؛ فهناك منافسات الحرب الباردة في أفغانستان، التي أدت إلى غزو الاتحاد السوفييتي للبلاد؛ وإرسال الولايات المتحدة والأنظمة الملكية في الخليج للمسلمين إلى هناك، وتحويلهم إلى راديكاليين على يد باكستانيين، لمحاربة القوات السوفيتية رداً على ذلك؛ والارتفاع الكبير في التمويل الخليجي للحركات السنية الراديكالية، جزئياً لمواجهة رعاية إيران للنشاط الشيعي بعد الثورة الإيرانية عام 1979. إن التنافس المتصاعد، خصوصاً بين دول الشرق الأوسط، بات الآن يدفع ويعقد الجهود الرامية لإنهاء الأزمات التي يتغذى عليها الجهاديون. كما أن ذلك يعني أن العديد من القادة تساورهم المخاوف من خصومهم الإقليميين أكثر مما تساورهم من المتطرفين. في اليمن، على سبيل المثال، فإن أفعال السعودية والإمارات العربية المتحدة تظهر أنهما تنظران إلى الحوثيين والمخاطرة التي تعتقدان وجودها نتيجة النفوذ الإيراني في شبه الجزيرة العربية على أنها تهديدات أكثر خطورة من القاعدة. على مدى أشهر، كانت المناطق التي تسيطر عليها القاعدة في شبه الجزيرة العربية من بين المناطق القليلة التي تجنبت عمليات القصف التي يقوم بها التحالف الذي تقوده السعودية، وهو ما قوى المجموعة بالمقارنة مع المجموعات الأخرى.²³

تشكل السياسات الإقليمية عقبة أكبر في سورية. أولاً، كما تم وصفه أعلاه، فإن سياسات الدول ساعدت في تيسير تحول المعارضة في البداية نحو الراديكالية وتوسع جبهة النصرة، ما مهد الطريق لتقدم تنظيم الدولة الإسلامية. حتى الآن، فإن عدداً قليلاً من القوى المتحالفة ضد تنظيم الدولة تتعامل معه على أنه العدو الرئيسي. يقوم نظام الأسد، وإيران، والمليشيات المتحالفة معهما وروسيا في معظم الأحيان بضرب مجموعات

²¹ Crisis Group Africa Report N°147, *Somalia: To Move Beyond the Failed State*, 23 December 2008; and Asia Report N°221, *Talking About Talks: Toward a Political Settlement in Afghanistan*, 26 March 2012.

²² حركة بوكو حرام هي الأخيرة في سلسلة من الحركات الإحيائية في شمال نيجيريا، الذي كان منذ وقت طويل مركزاً لتبادل الأفكار بين تلك المنطقة وأجزاء أخرى من العالم الإسلامي. تقارير مجموعة الأزمات حول أفريقيا Crisis Group Africa Reports N°s 168, *Northern Nigeria: Background to Conflict*, 20 December 2010; and 216, *Curbing Violence in Nigeria (II): The Boko Haram Insurgency*, 3 April 2014. لا يزال وضع بوكو حرام يكتنفه الكثير من الغموض، بما في ذلك تماسك الحركة وحتى ما إذا كان شيكاو لا يزال على قيد الحياة.

²³ إن مزاعم دبلوماسيين غربيين بأن الإمارات العربية المتحدة أكثر جدية حيال القاعدة في شبه الجزيرة العربية لا تؤيدها أفعال الإمارات على الأرض، خصوصاً وأن السعودية هي التي تضع الأولويات العسكرية. انظر تقرير مجموعة الأزمات، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، مرجع سابق.

المعارضة الأخرى، بما فيها تلك الموجودة على خطوط المواجهة مع تنظيم الدولة، لأنها تعتبرها تهديداً أكبر لبقاء النظام. قوى الخليج وتركيا تعطي الأولوية للإطاحة بالأسد، وبخشي الأتراك من تنامي قوة وحدات حماية الشعب الكردي، المرتبطة بالحركة المسلحة المعادية لهم داخلياً، وهي حزب العمال الكردستاني.²⁴ تنظيم الدولة الإسلامية هو الأولوية الأولى في سورية فقط بالنسبة للقوى الغربية والأردن.

"قلة من القوى المختلفة التي تواجه تنظيم الدولة الإسلامية تعتبره عدوها الرئيسي."

الأسوأ من ذلك أن ثمة ملمحاً في تاريخ العديد من الحركات يتمثل في الدعم الذي تلقت من الدول على أمل استخدامها في الحروب بالوكالة ضد خصومها. المشهد الجهادي الباكستاني يتحدى أي توصيف بسيط، إلا أن جذور بعض الحركات يعود إلى الحروب في أفغانستان وكشمير، حيث شكل الجهاديون أدوات في سياستها الخارجية. حتى عند تعاون بعض هذه المجموعات التي تحارب بالوكالة مع المجموعات المسلحة القبلية التي تهاجم الدولة الباكستانية أو تتخربط بفعالية في تنشئة جيل جديد من المتطرفين، فإن القادة العسكريين والعديد من القادة المدنيين لازالوا يتساهلون مع حركة عسكر طيبة، إحدى أكبر المجموعات الجهادية في العالم، ويدعمون طالبان أفغانستان.²⁵ كانت حكومة الأسد ترسل الجهاديين إلى العراق على مدى العشرية الأولى من الألفية الثالثة في محاولة لصرف انتباههم والتسبب بالمشاكل للولايات المتحدة؛ وهذا ما دفع أيضاً لتيسير إيران المتقطع لانتقال مقاتلي القاعدة إلى العراق في الوقت نفسه.²⁶

يبدو دعم الدول، المباشر وغير المباشر، للجهاديين في تنامي مستمر، خصوصاً مع تصاعد التنافس بين إيران ومليشيات الخليج التي تشعر بالغضب حيال ما ترى من تنامي النفوذ الجيوسياسي لطهران بعد الاتفاق النووي. من شبه المؤكد أن بعض الأسلحة والذخائر التي تندفق من الخليج وتركيا إلى مكونات تحالف جيش الفتح في المعارضة المسلحة السورية يصل إلى جبهة النصر، أحد أقوى مكوناته.²⁷ وسط الفوضى السائدة في اليمن، فإن الأسلحة المقدمة إلى الحلفاء المحليين للتحالف الذي تقوده السعودية تتسرب إلى ترسانة القاعدة، التي يتحالف معها ضمناً بعض شركاء الرياض ضد الحوثيين.²⁸

كما تظهر التجربة الباكستانية، فإن الجهاديين وكلاء خطرون. من غير المرجح أن يتحول حلفاء إيران من غير الدولة – الميليشيات الشيعية العراقية، وحزب الله وآلاف الأفغان وغيرهم من الشيعة الذين حشدتهم للقتال إلى جانب قوات الأسد – ضد الجمهورية الإسلامية، بالنظر إلى روايتها الثورية المتماسكة بشكل معقول، وقواتها العسكرية المقتدرة واعتماد هذه الميليشيات على الدعم الإيراني. على عكس ذلك، فإن الجزء المحوري من استراتيجيات العديد من المتطرفين السنة يتمثل في الإطاحة بالأنظمة المحلية، بما فيها الأنظمة التي تقف معها على نفس الخط الطائفي. إن قلق مليشيات الخليج من إيران أمر مفهوم؛ ولتركيا مخاوف مشروعة حيال النزعة الانفصالية لدى الأكراد. إلا أن إحالة التهديدات التي يشكلها تنظيم الدولة الإسلامية

²⁴ ملاحظات ومقابلات لمجموعة الأزمات، أنقرة وواشنطن دي سي، كانون الثاني/يناير 2016. تتلقى وحدات حماية الشعب الكردي دعماً أمريكياً، وهو الذي يثير حنق تركيا، التي يجادل مسؤولوها بأن بعض هذه الأسلحة ينتهي الأمر بها بين أيدي حزب العمال الكردستاني.

²⁵ عشية أحداث 11 أيلول/سبتمبر، كان يمكن تصنيف المجموعات المسلحة الباكستانية حسب مجال تركيزها. كانت حركة المجاهدين، وجيش محمد، وهي حركة منشقة عن حركة المجاهدين، وعسكر طيبة تقاتل في كشمير. حركة سيباه صحابة باكستان والحركة المنشقة عنها عسكر جهانغوي شنت هجمات طائفية في باكستان. وكانت كلتاها قد تأسستا قبل عقود، وبشكل أساسي بتمويل سعودي لمواجهة تنامي قوة المجموعات المسلحة الشيعية المدعومة من إيران بعد الثورة الإيرانية، لكن التي تسفقت أيضاً من النعمة المحلية على الشيعة الأكثر ثراءً في جهانغ. كانت مجموعات كثيرة في المناطق القبلية قد حاربت في أفغانستان. لقد شهدت السنوات الخمس عشرة الماضية تراجع أهمية هذه الاختلافات، حيث اختلطت العديد من المجموعات المسلحة مع بعضها بعضاً ومع القاعدة بينما كانت تقاتل جنباً إلى جنب مع طالبان أفغانستان وتندرب في المناطق القبلية في باكستان. بات الخط الفاصل الرئيسي الآن بين تلك المجموعات التي تحارب الدولة الإسلامية وتلك التي لا تحاربها – رغم أن هذا الحد الفاصل بات غامضاً أيضاً. المجموعات التي يرعاها الجيش ولا تهاجم الدولة تقدم في كثير من الأحيان التدريب والبنية التحتية للمجموعات التي تهاجم الدولة. ثمة خط فاصل آخر بين تلك التي تهاجم الشيعة والأقليات الدينية الأخرى وتلك الأقل طائفية. تقارير مجموعة الأزمات حول آسيا، Crisis Group Asia Reports, N°s 164, *Pakistan: The Militant Jihadi Challenge*, 13 March 2009; 178, *Pakistan: Countering Militancy in FATA*, 21 October 2009; and 242, *Pakistan: Countering Militancy in PATA*, 15 January 2013.

²⁶ *The "Islamic State" Organization: The Sunni Crisis and the Struggle of Global Jihadism* (Jordan, 2015).

²⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، تركيا، نيسان/أبريل – كانون الأول/ديسمبر 2015.

²⁸ تقرير مجموعة الأزمات، "اليمن: هل السلام ممكن؟"، مرجع سابق. أيضاً، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع صحفي غربي، تشرين الثاني/نوفمبر 2015؛ ومع صحفي عدي، تشرين الأول/أكتوبر 2015؛ ومع دبلوماسي عربي، ومع شيخ قبلي من شبوة، آب/أغسطس 2015.

والمجموعات المرتبطة بالقاعدة وأفكارها إلى المرتبة الثانية على سلم أولوياتها مقارنة بهذه المخاوف – أو الأسوأ من ذلك، من المرجح أن يثبت أن التساهل مع مثل هذه المجموعات على أمل أن تبقى أنظارتها مصوبة على حلفاء إيران هو نوع من سوء الحسابات.

ج. الفضاء السياسي والأيديولوجي

إذا كانت الحروب، وانهيار الدول والعوامل الجيوسياسية، خصوصاً في العالم العربي، أسباباً تقليدية للموجة الرابعة، فإن اتجاهات أخرى تسهم فيها أيضاً. إن هذه العوامل أكثر تعقيداً مما يمكن من تناولها بشكل شامل، خصوصاً وأن الديناميكيات متنوعة جداً، إلا أن بعضها بارز على نحو خاص.

أولاً، لقد وصلت الطائفية إلى مستويات غير مسبوقة في أجزاء من الشرق الأوسط، نظراً إلى تفاقمها بسبب الإطاحة بصدام حسين، والحروب في سورية والعراق والخصومة المتزايدة بين السعودية وإيران، وباتت أكثر حدة من أي وقت مضى منذ دخول الدين في الهوية السياسية الحديثة. مع فشل الدول، فإن كثيرين، وليس السنّة وحسب، يتحولون إلى أنواع أخرى من التنظيم الاجتماعي – القبيلة، أو العشيرة، أو الدين أو الطائفة – من أجل الحماية والتمثيل. لازالت تداعيات ذلك غير مؤكدة، إلا أن من الواضح أن الكراهية الطائفية تلعب لصالح تنظيم الدولة الإسلامية، الذي يدفعها ويتغذى عليها. كما أنها تشكل جيلاً جديداً من الجهاديين الذي يبدأون حياتهم القتالية ضد القوات المدعومة من إيران في ميادين المعارك السورية والعراقية. إنها تخاطر بتعميق التوترات السنوية الشيعية في جنوب آسيا، حيث يسعى السعوديون إلى إقناع باكستان، التي فيها ثاني أكبر مجموعة من الشيعة في العالم، والذين تربطهم علاقات أيديولوجية وثيقة بإيران المجاورة، بالانضمام إلى جبهتها المعادية لإيران في اليمن.²⁹

إنها تختلط أيضاً مع شعور العرب السنّة العميق بأنهم ضحايا، وهو شعور عمقه تركيز الغرب على الفضائل التي يرتكبتها تنظيم الدولة الإسلامية والذي يتجاهل بشكل عام – أو، في حالة العراق، يبدو أنه يبسر – ذبح السنّة على أيدي الأنظمة والمليشيات التي ترعاها إيران. مع انتشار اضطرابات عام 2011، تززع استقرار مراكز القوة التقليدية في العالم السني العربي، مثل مصر، ما ترك الآخرين يتصارعون على الحلول محلها. لقد حاولت السعودية ملء الفراغ، لكن جزئياً بتصعيد المشاعر الطائفية: وهو ميدان خطر تجد نفسها فيه في منافسة مع تنظيم الدولة الإسلامية.³⁰

ثالثاً، رغم أن المحفز للموجة الرابعة كان الإطاحة بالحكام المستبدين، فإن جذورها تضرب جزئياً في استمرار حالة الاستبداد. لقد تمسك زعماء وأنظمة، بدعم من قوى رئيسية، ولعقود بالسلطة من خلال العنف والقمع. ووفرت أنظمتهم استقراراً نسبياً، إلا أن سوء إدارتهم أسهم كثيراً في تحلل المؤسسات، وتردي علاقات الدولة بالمجتمع وتمهيد الطريق للاضطرابات التي تلت الإطاحة بهم. على وجه الخصوص، فإن تصميم المالكي (في العراق) والأسد (في سورية) على تعزيز قواتهما أو التمسك بالسلطة تسبب في الحروب التي مهدت الطريق أمام تنظيم الدولة الإسلامية؛ لقد عمد الأسد إلى دفع المعارضة نحو التطرف واستخدام ذلك كاستراتيجية للمحافظة على بقاء النظام.

تشكل هذه احتمالات قائمة للإصلاح في بلدان، خصوصاً في العالم العربي، لم تستسلم بعد للعنف، وتسهم في تنامي المشاعر المعادية لمؤسسات الدولة، خصوصاً بين الشباب، وتعطي مصداقية لانتقاد الجهاديين للأنظمة المحلية الفاسدة. إن صمت القوى الغربية على حلفائهم، لا سيما في مصر، وتراجع وتبدد دعم هذه الأنظمة للإصلاح في مناطق أخرى خلال السنوات القليلة الماضية يؤكد التصورات العميقة بوجود معايير مزدوجة، ما يعزز مرة أخرى الروايات الجهادية.

ثالثاً، إن الزعماء الأفارقة معظمهم في الغالب أكثر توحداً في مواجهة الجهاديين من نظرائهم في الشرق الأوسط، رغم أنهم، في بعض الحالات، ليسوا أقل إجماعاً عن التخلي عن السلطة. التحدي بالنسبة لهم يكمن

²⁹ يشكل الشيعة حوالي 20% من عدد السكان البالغ 200 مليون نسمة في باكستان. حتى في الأماكن التي لا يوجد فيها تواصل يذكر للسنّة مع عالم الشيعة – مثل القوقاز، على سبيل المثال – فإن التضامن الطائفي يدفع المجندين المحليين إلى الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية (مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مقاتلين من شمال القوقاز، تركيا، كانون الثاني/يناير – شباط/فبراير 2016). سائق تاكسي مصري قال لمجموعة الأزمات مؤخراً إن التهديد الرئيسي الذي يواجه بلاده هو من الشيعة، رغم أنهم أقل من 1% من عدد السكان في مصر. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيلول/سبتمبر 2015. إضافة إلى المشاعر الشعبية العدائية المتنامية حيال الشيعة في بلدان ليس فيها شيعة تقريباً، فإن مخاوف المسؤولين حيال الحملات الدعوية الإيرانية والعمليات الاستخباراتية شائعة حتى في مناطق خارج مجال النفوذ المعتاد لإيران. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمنيين وسياسيين، تونس والرباط، 2015-2016.

³⁰ إعدام السعودية مؤخراً للشيخ نمر النمر، الذي يحظى بالشعبية يوضح عمق التوترات المتفاقمة بين السنّة والشيعة، هذا إن لم يكن تعميق التوترات أمر متعمد. "Sheikh Nimr al-Nimr: Saudi Arabia executes top Shia cleric", BBC News, 2 January 2016.

في ضعف الدول؛ وسلطتها المحدودة في المناطق النائية المهملة؛ وعدم قدرة قوات الأمن، وأجهزة المخابرات والمؤسسات الأخرى على الرد بالكفاءة المطلوبة. تشكل سوابق بوكو حرام وجهادي مالي، حيث تحولت بوكو حرام من طائفة منعزلة إلى مجموعة مسلحة عنيفة، واستولى الجهاديون في مالي على بلدات بعد التخفي سنوات في الصحراء، تشكل علامات مثيرة للقلق. إن الظروف التي أدت إلى ظهور كلتا الأزميتين – انعدام التنمية، وانعدام الثقة بالدولة في المناطق الداخلية، وتراجع سلطة النخب التقليدية، وتوافر الأسلحة بسهولة ووجود قوات أمن ثقيلة الوطأة لكن غير فعالة – تعد مصيبة ابتلي بها العديد من الدول الأخرى، في أفريقيا ومناطق أخرى.

وأخيراً، فقد انفتح الفضاء الأيديولوجي. في العالم العربي بشكل خاص، لكن أيضاً في أجزاء من أفريقيا، فإن الأيديولوجيات الأخرى التي استخدمت ذات مرة لتأطير النشاط السياسي والمقاومة ضد القمع فقدت جاذبيتها. الطلاب في سائر أنحاء العالم الإسلامي الذين تمردوا ذات يوم بالانضمام إلى الحركات الاشتراكية لا يجدون اليوم قوات معتدلة كثيرة للتعبير عن استيائهم. لقد انكشفت القومية العربية بنفس القدر الذي انكشفت فيه الاشتراكية؛ وفشلت الإصلاحات الليبرالية الجديدة والحوكمة العالمية بتحقيق إمكاناتهم الكامنة وساءت الأحوال المعيشية في كثير من الأحيان؛ وقد أضر انهيار ثورات عام 2011 بالديمقراطية الليبرالية، وبشكل خطر على نحو خاص، بالإسلام السياسي السلمي.

"الأغلبية الساحقة من السلفيين لا تدعو إلى العنف ولا تمارسه. في العديد من الأماكن، يمكن أن يكون السلفيون حلفاء مفيدون ضد أولئك الذين يفعلون."

رغم الأداء غير الكفؤ للرئيس محمد مرسي العضو في الإخوان المسلمين كرئيس لمصر، فإن الانقلاب والقمع الذي يمارس في ظل حكم الرئيس عبد الفتاح السيسي دفع البلاد باتجاه أكثر خطورة. يصور الأيديولوجيون الجهاديون في سائر أنحاء المنطقة فشل الاتجاه التدريجي الذي يتبناه الإخوان المسلمون والمشاركة السياسية على أنه إثبات لصحة استراتيجيتهم الثورية العنيفة، وهي حجج تتعزز مرة أخرى بصمت القادة الغربيين عندما تمت الإطاحة بالإخوان المسلمين وبت مسؤولو الحركة، الذين التقوهم رسمياً قبل بضع سنوات فقط يقبعون في السجون المصرية.³¹

لقد أسهم انتشار التيارات الإسلامية غير المتسامحة – التي تُجمع في كثير من الأحيان في بوتقة واحدة وتحت تصنيف واحد مثل الوهابية أو السلفية – في هذا الوضع.³² لا يمكن تفسير التهديد الجهادي الباكستاني، على سبيل المثال، دون الإشارة إلى الأسلمة المتعمدة للقوانين ودعم الحركات الإسلامية الوكيلية من قبل الحكام المتعاقبين، خصوصاً الرئيسين ضياء الحق وبرويز مشرف.³³ في جزء كبير من العالم الإسلامي، فإن عقوداً من الدعوة برعاية خليجية – من خلال الأئمة، والمساجد ووسائل الإعلام، خصوصاً محطات التلفزة الممولة

³¹ على وجه الإجمال، فإن الإخوان المسلمين عملوا بشكل عام كجدار واطق في وجه الحركات الجهادية أكثر مما شكلوا أداة انتقال نحوها، وهذا هو الحال بالتأكيد في الشرق الأوسط (في باكستان، ترتبط جمعية علماء الإسلام بعلاقات أوثق مع منطري ديوباندي وتساعد في نقل المقاتلين إلى أفغانستان لكنها تلقى تشجيعاً في الغالب على فعل ذلك من قبل الجيش). لمراجعة أمثلة على مهاجمة الجهاديين للإخوان المسلمين، انظر، على سبيل المثال، Bill Roggio, "Zawahiri rebukes Muslim Brotherhood for trusting democracy", *Long War Journal*, 3 August 2013; and William McCants, "Who exactly is Abu Bakr al-Baghdadi, the leader of ISIS?", *Newsweek*, 6 September 2015. For the "firewall" versus "conveyor belt" discussion, see Marc Lynch, "Is the Muslim Brotherhood a terrorist organization or a firewall against violent extremism?" *Washington Post*, 7 March 2016.

³² يشير مصطلح الوهابية إلى الحركة الدينية الإحيائية التي انطلقت في نجد (وسط شبه الجزيرة العربية) في مطلع القرن الثامن عشر بقيادة محمد بن عبد الوهاب. دعا ابن عبد الوهاب، الذي أدان انحراف الإسلام على مدى قرون ونكوص المجتمعات الإسلامية إلى الجاهلية التي ميزت شبه الجزيرة العربية قبل قدوم الإسلام، إلى التوحيد (عبادة الله بشكل حصري) وممارسات السلف الصالح، الذين يستمد منهم مصطلح السلفية – الذين يتكونون من الأجيال الثلاثة الأولى من المسلمين، بما في ذلك النبي محمد، وصحابته وخلفائهم. وجادل بأن العلاج لمحنة الإسلام تتمثل في تجاوز الإرث التفسيري اللاهوتي للإسلام على مدى قرون والاعتماد بدلاً من ذلك على القرآن، والسنة وإجماع السلف الصالح. من الناحية العملية، فإن هذا كان يعني إلغاء كافة أشكال الإسلام الشعبي، بما في ذلك الصوفية، وعبادة الأولياء والشيعية، وفرض الأداء الصارم للشعائر على المؤمنين. تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 31، "المملكة العربية السعودية: من هم الإسلاميون؟"، 21 أيلول/سبتمبر 2014. انظر أيضاً، Roel Meijer (ed.), *Global Salafism: Islam's New Religious Movement* (New York, 2009). Crisis Group Asia Reports, N°s 73, *Unfulfilled Promises: Pakistan's Failure to Tackle Extremism*, 16 January 2004; 49, *Pakistan: The Mullahs and the Military*, 20 March 2003; and 36, *Pakistan: Madrasas, Extremism and the Military*, 29 July 2002.

³³ تقرير مجموعة الأزمات حول آسيا Crisis Group Asia Reports N°s 95, *The State of Sectarianism in Asia*, 18 April 2005; and 265, *Women, Violence and Conflict in Pakistan*, 8 April 2015.

من السعودية – أوجدت مجموعة من الأشخاص الذين يمكن تجنيدهم ممن يتشاطرون ميولاً أيديولوجية عامة مع الجهاديين.³⁴ لكن رغم أن السلفيين يتشاطرون بعض الخصائص المحافظة والعامية، فإن ممارساتهم الدينية وميولهم السياسية متنوعة جداً، وهذا يعود في جزء منه إلى أن المصطلح يطلقه معتنقو هذه الميول على أنفسهم لإسباغ الشرعية، وبالتالي يصعب الخروج باستنتاجات مؤكدة حول علاقتهم بالجهاد. عدد كبير من أكثر المقاتلين حماسة اليوم لا ينتمون إلى التراث السلفي. كما أن الأغلبية الساحقة من السلفيين لا تدعو إلى العنف ولا تمارسه. في العديد من الأماكن، يمكن أن يثبتوا أنهم حلفاء مفيدون ضد أولئك الذين يفعلون ذلك.³⁵

إن تنامي الطائفية، وتعمق النزعة الاستبدادية، وهشاشة الدولة، وحتى تلاشي جاذبية الأيديولوجيات الأخرى لا يعني أن مبادئ الجهاديين ستكتسب قريباً جاذبية جماهيرية. تظهر استطلاعات الرأي بثبات أن جزءاً كبيراً مما يروجون له وبلقى صدى واسعاً: معارضة الأنظمة المحلية الفاسدة، والسياسة الأمريكية في العالم الإسلامي، وإسرائيل ومعاملتها للفلسطينيين والنفوذ الغربي، إضافة إلى دور أكبر للإسلام في الحياة العامة. إلا أن التيارات التي تميز الجهاديين العنيفين عن الإسلاميين السياسيين، تلقى درجة أقل من الدعم؛ حيث إن رؤيتهم الاجتماعية متفشفة وصارمة أكثر مما ينبغي. حتى بالنسبة لأولئك الذين قد تنتم إقامة الخلافة بجاذبية خاصة بالنسبة لهم، فإن الثورات العابرة للأوطان أو جرّ الغرب إلى حرب تنذر بنهاية العالم لتأسيسها أقل جاذبية. إن قتل المدنيين المسلمين لا يحظى بأي شعبية على الإطلاق دون ذلك النوع من الكراهية الذي تولده الصراعات الطويلة.³⁶ إن حالة التقزز من السفك المفرط للدماء الذي روج له المتطرفون الجهاديون في الماضي، خصوصاً في الجزائر والعراق، يفسر جزئياً عكس الموجات السابقة – رغم أن اتساع شقة الصراع السني – الشيعي وصور المذابح في سورية على وسائل الإعلام المحلية في سائر أنحاء العالم الإسلامي تخاطر بجر الكثيرين إلى العنف.³⁷

إن افتراض أن التكتيكات والأيديولوجيا الجهادية من غير المرجح أن تلقى صدى واسعاً أمر غير مؤكد. لم تعتمد الثورات طوال التاريخ على الأغلبية بقدر ما اعتمدت على نواة صلبة ملتزمة قادرة على استغلال الفرص في حالات الفوضى. إن اتساع انتشار هذه الحركات والموارد التي تسيطر عليها الآن يعني أن أي انهيار آخر في العالم الإسلامي، من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا، يخاطر في تمكين عنصر متطرف، سواء كان جهادياً هم الذين يثيرون الأزمة، أو على الأرجح، يستفيدون من تطوراتها العنيفة. إلا أن ذلك يشير إلى أن مواجهة أيديولوجيتهم ينبغي أن تكون مجرد جزء صغير من الرد.³⁸ إن الأولويات الأكثر إلحاحاً تتمثل بإعادة إحياء الجهود لإنهاء الحروب، وتخفيف حدة التنافس بين الدول ومنع أزمات أخرى من النشوء، خصوصاً من خلال الردود العقلانية على الهجمات الإرهابية وبتشجيع القادة على اتخاذ سياسات أكثر شمولاً وإجراء الإصلاحات.

³⁴ انظر أيضاً، على سبيل المثال، "Extremism as Mainstream: Implications for Women, Development & Security in the MENA/Asia Region", International Civil Society Network (ICAN), spring 2014

³⁵ انظر على سبيل المثال "Crisis in the MENA/Asia Region", Crisis in the MENA/Asia Region, Rashid Abdi, "East Africa's Sufi Path to Countering Violent Extremism", Group blog, 15 September 2015

³⁶ Cameron Glenn, Garrett Nada and Melissa Nozell, "Muslims Condemning Violent Extremism? Count the Ways", U.S. Institute of Peace, 17 March 2015

³⁷ في الجزائر والعراق، أحدث العنف المفرط ضد المدنيين الذي ارتكبه على التوالي المجموعة السلفية للدعوة والقتال، التي أصبحت لاحقاً القاعدة في المغرب الإسلامي، والقاعدة في العراق استياءً كبيراً أدى في النهاية إلى هزيمتهما.

³⁸ رغم أن من الواضح أن أهمية ذلك في بعض البلدان أكبر منها في بلدان أخرى. في باكستان، على سبيل المثال، ما لم يتم وضع حد للرادكالية التي يتم من خلالها غسل أدمغة الشباب بالمئات، إن لم يكن بالآلاف، في المدارس الجهادية أو الطائفية، لن يكون هناك نقص في العناصر المستعدة للقتال في سبيل قضايها.

III. مشهد متغير

رغم أن السرعة التي يتغير بها المشهد الجهادي تعني أن أي وصف لا يمكن أن يقدم أكثر من لقطة سريعة، فإن الخطوط الرئيسية للموجة الرابعة واضحة. رغم خسارته في الرمادي، فإن تنظيم الدولة الإسلامية يبدو مسيطراً بإحكام على المناطق السنّية الداخلية في العراق وأجزاء من شرق سورية. لم يكرر في مناطق أخرى نجاحه الدراماتيكي هناك، لكنه يتوسع في ليبيا، وسيناء، واليمن وأفغانستان، ويكتسب المزيد من المتطوعين في مناطق حروب أخرى وقام بتنسيق هجمات في الغرب أو على الأقل أوحى بها.

القاعدة، التي حجبها جزئياً ظهور تنظيم الدولة الإسلامية، تكيفت مع الوضع. باتت بعض المجموعات المرتبطة بها، خصوصاً في سورية واليمن، أكثر قوة. لقد استفادت من الفرص التي أتاحتها الصراعات المحلية فحولت تركيزها من مهاجمة المصالح الغربية إلى الاستيلاء على الأراضي، واستهداف الأنظمة المحلية، وحجبت في كثير من الأحيان صلاتها بالقاعدة، وفي بعض المناطق، تصرفت بشيء من البراغمة. أما ما إذا كان ذلك سيغير، بمرور الوقت، هوية القاعدة أو أي فرع محلي لها أو سيساعد على استعادة النفوذ الذي فقدته لصالح تنظيم الدولة الإسلامية، فيبقى غير واضح.

لقد سرّع التطور الجهادي من النقاش الدائر حول التكتيك، والاستراتيجية والعقيدة: قتل المسلمين الآخرين، وخصوصاً الشيعة؛ كيف ومتى يفرض الحكم الإسلامي؛ وما إذا كان الهدف النهائي يتمثل بإسقاط نظام الدولة – الأمة أو ببساطة إسقاط أنظمة "غير إسلامية" محددة. منذ عام 2011، استولى عدد متزايد من الحركات على الأراضي، وحل محل الدولة بينما عزز، في بعض الحالات، تحولاً في العلاقات مع السكان في المناطق التي يسيطر عليها.

أ. تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام

في تموز/يوليو 2014، أخرج تنظيم الدولة الإسلامية الجيش العراقي من الموصل، ثاني أكبر مدينة في العراق، واستولى على كميات كبيرة من الأسلحة التي كانت قد قدمتها الولايات المتحدة. وخلال أسابيع قليلة، اكتسح شمال وغرب البلاد، وحقق التواصل مع معاقلة في شرق سورية. ظهر زعيم التنظيم غير المعروف سابقاً، أبو بكر البغدادي (وهو اسم حركي)، في الجامع المركزي في الموصل لإعلان خلافة جديدة وإعلان نفسه "أميراً للمؤمنين" وطالب بالبيعة من المسلمين في سائر أنحاء العالم. دمرت قوات تنظيم الدولة الإسلامية جزءاً من الحدود السورية العراقية، وهي المرة الأولى التي تعلن فيها مجموعة جهادية سيطرتها على أرضٍ عابرة للأوطان.

"شكّلت الإطاحة بصدّام حسين والسياسات التي تم تبنيها بعد ذلك من قبل الاحتلال الأمريكي للعراق هدايا كبيرة جداً للمتطرفين."

لقد انضم إلى التنظيم عشرات آلاف الأجانب الذين انجذب عدد كبير منهم إلى عمليات التجنيد التي تتم عبر الإنترنت. إن عنفه المُخرج بعناية، والذي يتم الترويج له على وسائل التواصل الاجتماعي، مصمم جزئياً لزرع الخوف وجزئياً – كهجمات بن لادن سابقاً – لتوليد عناوين الأخبار. كما أن استعباده للنساء يولّد العناوين أيضاً ويساعد في تجنيد الشباب الذين تجعل بيئاتهم المحافظة اجتماعياً الوصول إلى النساء أمراً صعباً. إنه يهدف إلى التوسع بالسيطرة على الأراضي وكسب المجندين في دول منهارّة أخرى؛ وإحداث انقسامات في المجتمعات من خلال الهجمات الإرهابية؛ وكما يقول، من خلال إثارة معارك مع القوى الغربية بشكل يمهد الطريق لإقامة نظام إسلامي جديد.

إلا أن الأهم من كل ذلك هو أن تنظيم الدولة الإسلامية حركة متجدرة في التاريخ الحديث للعراق وسورية وله حالياً قيادة عراقية في معظمها. لقد مثلت الإطاحة بصدّام حسين، الذي كان ديكتاتوراً علمانياً بشكل عام يحكم بلداً ذو تاريخ محدود من السلفية الجهادية، والسياسات التي تم تبنيها بعد ذلك من قبل الاحتلال الأمريكي هدايا كبيرة للمتطرفين. ترك اجتثاث البعث - أي طرد العديد من المسؤولين - وتفكيك الجيش مئات آلاف السنة بشكل رئيسي دون عمل. انتقلت السلطة من الطبقات السنّية الحضريّة إلى الطبقات الريفية الشيعية والكردية. النظام السياسي الجديد، الذي وزع السلطات بشكل صريح على أساس طائفي والذي حاول السنّة

التكيف معه، لم يخدم مصالحهم.³⁹ كان العنف والتعذيب من قبل القوات الأمريكية وحلفائها المحليين معروفاً جيداً في العراق حتى قبل فضيحة أبو غريب وأثار غضباً واسع النطاق.⁴⁰

"كانت مقاربة الزرقاوي تستند إلى كراهيته العميقة للشيعة، لكن أيضاً إلى منطق استراتيجي بارد، بالنظر إلى انقلاب حظوظ السنة."

في بنائه لحركة متمرده مسلحة أصبحت تعرف بالقاعدة في العراق، ولاحقاً بتنظيم الدولة الإسلامية، كان بوسع الزرقاوي، وهو متشدد أردني وصل إلى العراق بعد هربه من أفغانستان عند الإطاحة بطالبان، الاستفادة من تيار غني من الاستياء السني، إضافة إلى شبكات المتشددون السوريين التي كان قد أقامها في جنوب آسيا. بالاعتماد على جيل جديد من الأيديولوجيين الجهاديين، وجد تربة خصبة لإحداث استقطاب في البلاد على أسس طائفية، وهي مقاربة تستند إلى كراهيته العميقة للشيعة، لكن أيضاً إلى منطق استراتيجي بارد، بالنظر إلى الانقلاب الذي حدث في حظوظ السنة. لكن في السنوات الأولى، كانت القاعدة في العراق واحدة من مجموعات كثيرة تعارض الاحتلال والحكومة الجديدة. بينما ضمت قيادة مجموعته العديد من الأجانب، فإن عناصر النظام القديم هيمنوا على الآخرين.⁴¹

رغم أن الغزو الأمريكي مهد الطريق لظهور تنظيم الدولة الإسلامية – والذي لولاه لما كان هناك وجود لتنظيم الدولة الإسلامية – فإن ما حدث بعد ظهور الصحوات، التي شكلت ثورة عشائرية ضد القاعدة في العراق، وتصاعد الحرب في سورية كانت في نفس الأهمية أيضاً. عندما قتلته الولايات المتحدة عام 2006، كان الزرقاوي قد ساعد على إثارة حرب أهلية طائفية في العراق. إلا أن تكتيكاته الوحشية التي انتقدت محلياً ومن قبل القيادة العليا للقاعدة، كلفت حركته خسارة جزء كبير من الدعم الذي تحظى به. خصوصاً في أجزاء من محافظة الأنبار، عانت العشائر من القيود الدينية التي فرضها متشددون أجانب، وعدم احترامهم لهيكلية السلطة المحلية ومحاولاتهم احتكار عائدات التهريب. هذه الاعتبارات، مضافاً إليها الوعود بدعم أمريكي، ومقاومة النفوذ الإيراني والرواتب الكبيرة، دفعتهم لإعادة التوضع والتحالف مع الولايات المتحدة ضد القاعدة. تمكن أكثر من 100,000 مقاتل من العشائر، الذين تعززت قدراتهم بالحشد الأمريكي، من إلحاق الهزيمة بالمتشددين.⁴²

استندت الانتفاضة ضد القاعدة في العراق إلى فهم بأن السنة سيحصلون على حصة أكبر في الدولة وقواتها الأمنية. بدلاً من ذلك، وخلال الاستعدادات لانسحاب القوات الأمريكية عام 2011، صعد رئيس الوزراء المالكي من خطابه الطائفي؛ وتوقف عن دفع رواتب زعماء العشائر الذين انتفضوا ضد القاعدة؛ ولم يدمج ميليشياتهم في قوات الأمن كما وعد، وقام بدلاً من ذلك باعتقال كثيرين. عمقت الأزمة السورية من الشعور بتصاعد الحرب الإقليمية، ما دفعه إلى الاقتراب أكثر من إيران، التي كان يتشاطر معها الخشية من أن الإطاحة بالأسد ستدشن نظاماً معادياً يقوده الإسلاميون السنة في دمشق.

كان قمع قوات الأمن العراقية للاحتجاجات التي اندلعت في بلدتي الفلوجة والحيوجة ذات الأغلبية السنية على مدى شتاء 2012-2013 نقطة التحول؛ فقد جعلت من الصعوبة بمكان بالنسبة للزعامة السنة الراغبين بالعمل عبر الطوائف فعل ذلك وأعطى الضوء الأخضر للحركات الأكثر تطرفاً بالقيام بأعمال انتقامية مسلحة، ما عمق القناعة لدى الطرفين بأن الصراع كان وجودياً. مع تصاعد حدة العنف، صور المالكي فعلياً كل المعارضة السنية على أنها إرهابية، بينما رفض إطلاق نفس التسمية على العنف الشيعي الذي لا يقل وحشية. قبول الولايات المتحدة ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بذلك – حيث إن دعمهما للمالكي كدب الدعوات

³⁹ حاول الزعماء السنة إعادة تعريف هويتهم السياسية للتلاؤم مع نظام طائفي على نحو صريح؛ ولا زالوا يفعلون ذلك إلى حد ما. انظر تقرير مجموعة الأزمات، "سنة العراق والدولة"، مرجع سابق.

⁴⁰ تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 34، "ماذا تستطيع الولايات المتحدة أن تفعل في العراق؟"، 22 كانون الأول/ديسمبر 2004؛ ورقم 50، "بكلماتهم أنفسهم: قراءة التمرد العراقي"، 15 شباط/فبراير 2006؛ ورقم 52، الحرب العراقية المقبلة؟ الطائفية والنزاع الأهلي، "27 شباط/فبراير 2006.

⁴¹ تقرير مجموعة الأزمات، رقم 50، "بكلماتهم أنفسهم: قراءة التمرد العراقي"، مرجع سابق؛ Hanieh and Rumman, *The Islamic State Organization*, op. cit., pp. 25-26 Michael Weiss and Hassan Hassan, انظر أيضاً، *ISIS: Inside the Army of Terror* (New York, 2015) and Burke, 9/11 Wars, op. cit.

⁴² انظر تقرير مجموعة الأزمات، "العراق بعد الحشد (I)، والعراق بعد الحشد (II)"، مرجعان سابقان؛ وأيضاً Ala Ali, "Security, Religion and Gender in al-Anbar province; a Focus-Group based Conflict Analysis", International Civil Society Action Network, 7 August 2014.

اللفظية للتشميل السياسي – غدى شعور السنّة بأنهم ضحايا، وهو الشعور الذي فاقمه عنف نظام الأسد المجاور ضد السنّة.⁴³

كان الذين خلفوا الزرقاوي حينذاك قد تجمعوا من جديد، وبالتعلم من تجربته، جعلوا إقامة قاعدة لهم وسط الطائفة السنّية أولوية. كانت المجموعة قد أصبحت عراقية بشكل طاع، جزئياً لأن العديد من الأجانب كانوا قد تخلوا عنها وذهبوا إلى سورية، وجزئياً بسبب الصلات التي كانت تزداد قوة مع بقايا نظام صدام، الذين كان قد تحول العديد منهم نحو التطرف، مع زيادة قوة الشبكات الموجودة في السجون الأمريكية والعراقية.⁴⁴ وأعدت تدعيم صفوفها وقيادتها من خلال مهاجمة السجون وإطلاق سراح السجناء، ثم بدفع رواتب مجزية لرجال العشائر الناقمين. بحلول أواسط عام 2014، كانت قد اخترقت معظم المدن العراقية ذات الأغلبية السنّية. رغم أن الديناميكيات تفاوتت، فإن المجالس العسكرية المحلية وفصائل المجموعات المسلحة المتمردة السابقة تحالفت في كثير من الأحيان مع الجهاديين، الذين ترجموا تفوقهم العسكري إلى هيمنة. عندما استولى التنظيم، الذي أعيدت تسميته بتنظيم الدولة الإسلامية، على الموصل والمناطق السنّية الداخلية في حزيران/يونيو 2014، تلاشى الجيش العراقي، الذي كان قد نخره الفساد وانعدام الكفاءة والذي بات ينظر إليه على أنه قوة احتلال شيعية. أظهرت حقيقة أن العديد من السكان في المناطق التي استولى عليها تنظيم الدولة الإسلامية احتفلوا بـ "تحريرها"، رغم الذكريات التي تركها مسلحو الزرقاوي قبل بضع سنوات، تدهور علاقاتهم مع الدولة.⁴⁵

ساعدت التطورات داخل الطائفة السنّية بقدر ما ساعد انعدام ثقنها ببغداد في التقدم الذي حققه تنظيم الدولة الإسلامية. دمر التنكر للوعد التي قطعت للصحوات أو قوض مصداقية جزء كبير من المعارضة السنّية غير الجهادية التي كانت قد راهنت على العمل مع الولايات المتحدة والدولة العراقية وأبعدت السنة عن حلفائهم. بمساعدة مسؤولين سابقين في نظام صدام حسين من ذوي المهارات في التكتيكات القمعية في دولة استبدادية، لم يواجه تنظيم الدولة الإسلامية مقاومة تذكر خلال قيامه بتمزيق البنى الاجتماعية والسياسية التي كان يخشى أنها ستقاوم حكمه يوماً ما. تمثلت وسائله الأسوأ سمعة في استخدام القسوة والبطش الشديدين مع خصومه المحتملين، خصوصاً أولئك الذين شاركوا في الصحوات ورفضوا الانضمام إليه. إلا أن الأمر الذي لا يقل أهمية هو أنه وفر مساراً للارتقاء الاجتماعي بالنسبة للسنّة الذين كانوا يفتقرون إلى بطل في طائفتهم. وهكذا نسج تنظيم الدولة الإسلامية شبكة من المجموعات والطبقات المهملشة التي توافقت مصالحها، إن لم يكن معتقداتها، مع مصالحه. يستغل "مكتب العشائر" التابع له الانقسامات القبلية، بسحب الدعم، وتمكين القادة الأصغر سناً أو العشائر الأضعف وتآليب العشائر ضد بعضها بعضاً. العديد من الشباب، خصوصاً في العشائر، لكن دون أن يقتصر عليها، دعمته احتجاجاً على إثراء زعمائها جراء مناصرتهم للمالكي. بات بوسع بعض رجال الأعمال، والإداريين السابقين وغيرهم في الطبقات الوسطى في مناطق مثل الموصل، الذين تدهورت مصادر رزقهم بعد الإطاحة بصدام حسين، أن يستعيدوا مكانتهم وأن يستفيدوا في ظل حكم تنظيم الدولة الإسلامية. الطبقات الريفية وجدت فيه وسيلة للرد على ما رأت فيه نخبة حضرية مستغلة. المفارقة بالنسبة لمجموعة تروج لرؤية متقشفة للإسلام لا تقبل المساومة، هي أن قادة تنظيم الدولة الإسلامية أظهروا في البداية، على الأقل في العراق، بعض المرونة في إنفاذ القواعد الدينية، طبقاً لما يعتقدون أن السوق المحلي سيتحمّله.⁴⁶

بالطبع، فإن حتى أولئك الذين يستفيدون يعيشون تحت ضوابط مؤلمة، مثل تقييد حرية الحركة، الذي فرض في مطلع عام 2015، والذي يخلق شعوراً بالعزلة، وحالات الحرمان المرتبطة باقتصاد الحرب، وتساعد حملة القصف. إلا أن البعض استفاد، وبالنسبة لكثيرين فإن تنظيم الدولة الإسلامية يثير من الاستياء أقل مما تثيره بغداد. هذا إضافة إلى أن العديد من العراقيين معتادون على الحكم القمعي لعقود مضت.

الحكاية مختلفة في سورية، التي توسع إليها ما بات يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في عام 2011. أرسل البغدادي أحد كبار قادته وهو الجولاني، الذي قام ببناء جبهة النصره بهدوء حتى أصبحت حركة مسلحة معارضة كبيرة، جزئياً بفضل التمويل الذي قدمه تنظيم الدولة الإسلامية، لكن بشكل أساسي من خلال العمل مع آخرين، والإبقاء على العلاقات مع القاعدة في الخفاء، واكتسب الدعم من خلال الانضباط النسبي لحركته والاستفادة من المزاج المتطرف الذي أحدثته الحرب. في نيسان/أبريل 2013، أعلن البغدادي أن تنظيم الدولة الإسلامية سيضم إليه جبهة النصره. رفض الجولاني الاندماج وبايع زعيم القاعدة أيمن الظواهري. بعد

⁴³ تقرير مجموعة الأزمات، "العراق: الصفقة الخاسرة في الفلوجة"، مرجع سابق.

⁴⁴ Weiss and Hassan, *ISIS*, op. cit

⁴⁵ Crisis Group Middle East Briefing N°38, *Iraq's Jihadi Jack-in-the-Box*, 20 June 2014

⁴⁶ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان في المناطق الخاضعة لسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، تشرين الأول/أكتوبر 2015 – كانون الثاني/يناير 2016.

محاولة فاشلة للوساطة، أفتى الطواهري بأن فرعي العراق وسورية سيكونان عضوين منفصلين في القاعدة، ووقف بذلك فعلياً مع الجولاني. البغدادي رفض هذا.⁴⁷ تحول الانقسام منذ ذلك الحين إلى أعمال انتقامية عنيفة وجهود عدوانية من قبل تنظيم الدولة الإسلامية لكسب الموالين للقاعدة في مناطق أخرى. في سوريا، العديد من العراقيين والمجاهدين الأجانب انشقوا وانضموا لتنظيم الدولة الإسلامية. رغم أن بعض الأعضاء القدامى في القاعدة ظلوا معها، فإن جبهة النصرة أصبحت على نحو متزايد سورية الهوية، وتركز معظم قواعدها، بالإضافة إلى قادتتها، على سورية، وليس على الاهتمامات العابرة للأوطان.

في البداية لم يستهدف تنظيم الدولة الإسلامية النظام بل المناطق التي تسيطر عليها المعارضة، محاولاً السيطرة على المعارضة السنية في سورية كما كان قد فعل في العراق. تركه النظام دون أن يزعجه وصعد من هجماته على المعارضة المسلحة، التي اعتبرها تهديداً أكبر؛ كما اعتبر توسع تنظيم الدولة الإسلامية فرصة لتصوير المعارضة برمتها على أنها إرهابية. ترددت مجموعات المعارضة المسلحة المنقسمة في البداية بين الخضوع لتنظيم الدولة الإسلامية ومواجهته، لكن في مطلع عام 2014، دفعت أفعال تنظيم الدولة الإسلامية، بما في ذلك قتل قادة مجموعات معارضة مسلحة يحظون بالشعبية، إلى معارضة أكثر تنسيقاً في البداية ظلت النصرة خارج الصراع، لكنها عادت إليه مرة أخرى، لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية. بعد أن ضرب وأخرج من الشمال الغربي حول حلب، أجبر تنظيم الدولة الإسلامية على الانسحاب إلى شرق سورية، لكن ذلك أسهم أيضاً في تحرير الموارد بشكل مكنه من الاستيلاء الدراماتيكي على الموصل وتوسعه في العراق.⁴⁸

هكذا، ورغم وجود عاصمته بحكم الأمر الواقع في الرقة، والمرتبطة منذ القدم بالعراق من خلال التجارة عبر نهر الفرات، فإن الجذور السورية لتنظيم الدولة الإسلامية أقل عمقاً. داخل الأقلية السنية العراقية، قضى على المعارضة، ومكن المجموعات الهامشية، واستثمر في الحوكمة وأظهر المرونة. في سورية، حيث السنة هم الأغلبية، ومع وجود بدائل قوية، فإنه لا يسيطر سوى على بعض المناطق ذات الأغلبية السنية ويعتمد بشكل أكبر على القوة، رغم تشكيله لبعض التحالفات والعمل في كثير من الأحيان من خلال الإقناع أو الرشوة. رغم هذه الاختلافات، فإن هزيمته في أي من البلدين تبدو بعيدة. رغم أنه لا يتوقع أن يتقدم إلى المناطق الشيعية في العراق أو إلى الأراضي الكردية الداخلية أو أن يشن هجوماً جدياً على دمشق أو المناطق العلوية في سورية، فإنه يبدو ثابتاً ومستمراً في مناطق مهمة – وذلك جزئياً بفضل شدة بأسه عسكرياً وعلاقاته بعناصر في الطائفة السنية، وجزئياً، كما وصفنا، بسبب انقسام أعدائه.

أما درجة تمكنه من المحافظة على الدعم أو القبول، بمرور الوقت، خصوصاً في العراق، فهو أمر غير مؤكد. يمكن لتراجع العائدات أن ترجح كفة الإكراه/الاستمالة، وهو ما يمكن أن يؤثر على جذوره في المجتمعات المحلية. إلا أنه بات مترسحاً في الاقتصاد المحلي كما هو مترسخ في المجتمع. إنه يوحد جزءاً من العائدات من خلال إنتاج النفط، وسرقة المصارف، ومناجم الذهب، وزراعة القمح وبيع الآثار، إلا أن معظم عائداته تأتي الآن من الضرائب ذات الأنواع المختلفة، والمصادرة والابتزاز، وكل ذلك يصعب على العقوبات الدولية حصرها دون التسبب بمعاونة على نطاق واسع. حتى مع مواجهته ضغوطاً عسكرية أكبر وخسارته للأراضي على مدى العام الماضي، فإنه يبدو مستمراً.

ب. الخلافة التي تزداد توسعاً؟

يهدف تنظيم الدولة إلى التوسع إلى ما وراء قاعدته الإقليمية وذلك بتأسيس ولايات من خلال حملات التجنيد المثابرة واجتذاب المجموعات الأخرى. ويبدو أقل تحفظاً بالسماح للمجموعات بالانضمام إليه مما تفعل القاعدة إزاء قبول مجموعات جديدة في عضويتها.⁴⁹ لقد حقق بعض النجاح في مناطق أخرى لكن ليس على

⁴⁷ تقرير مجموعة الأزمات، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة"، مرجع سابق. رغم أن الصدام بين البغدادي والجولاني كان الشرارة، فإن الانفصال بين القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية كان يعتمل تحت السطح منذ وقت طويل. حتى في أفغانستان في تسعينيات القرن العشرين، كانت العلاقة بين الزرقاوي وقادة القاعدة متوترة. كانت تكتيكاته في العراق تلقى انتقادات من منظمة من الطواهري والزعماء الأيديولوجيين القياديين في القاعدة، الذين انتقدوا الوحشية التي استخدمها ضد مسلمين آخرين وتركيزه على قتل الشيعة والاستيلاء على الأراضي بدلاً من استهداف الولايات المتحدة. لا يبدو أن أي زعيم آخر في تنظيم الدولة الإسلامية منذ الزرقاوي بايع بن لادن أو الطواهري. انظر Hanieh and Rumman, *The "Islamic State" Organization*, op. cit.

⁴⁸ تقرير مجموعة الأزمات، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة"، مرجع سابق.

⁴⁹ انظر على سبيل المثال Barak Mendelsohn, *The al-Qaeda Franchise: The Expansion of al-Qaeda and Its Consequences* (Oxford, 2016).

نفس الدرجة التي حققها في العراق – وقد لا يكون هذا مفاجئاً بالنظر إلى هويته العراقية القومية وجذوره الضاربة في الظروف الموجودة هناك.⁵⁰

في ليبيا، وحول مدينة سرت الساحلية، المعقل السابق لنظام القذافي، والمدن القريبة منها، اجتذب تنظيم الدولة الإسلامية أعضاء من الفرع المحلي لأنصار الشريعة، مستغلاً الفراغ الأمني. رغم أنه يتكون من بضع مئات من الرجال وحسب، فإنه حقق اختراقات بالتوسط باتفاقيات مع الزعماء المحليين الذين لم يكن لهم خيار آخر بلجؤون إليه للحصول على الحماية؛ حيث إن المنطقة ليس فيها ميليشيات خاصة بها، نظراً إلى أن معظم السكان هم من الموالين السابقين للنظام الذين "هزموا" في حرب عام 2011. طوال عام 2015، حقق تنظيم الدولة الإسلامية السيطرة على شريط ساحلي يتراوح طوله بين 200 و300 كيلو متر بين سرت وبن جواد. ظهر مبعوثوه بأعداد كبيرة بعد حزيران/يونيو 2015، وكانوا إما من الليبيين العائدين من سورية أو الأجانب، بما في ذلك قادة عراقيين بارزين في تنظيم الدولة.⁵¹

في البداية، لم يفرض تنظيم الدولة الإسلامية قواعد صارمة على السكان، شريطة ارتداء النساء للحجاب، ولم تحاول المجموعات المحلية حمل السلاح ضده. استهدفت عمليات القتل التي قام بها الأجانب بشكل رئيسي، خصوصاً اللاجئين المسيحيين. لكن بمرور الوقت، وخصوصاً بعد أن حاولت مجموعة من سكان سرت (يقودها إمام سلفي) الانتفاضة في وجهه في صيف عام 2015، أصبح القمع أكثر عنفاً. بدأ المسلحون بتنفيذ إعدامات علنية لمسؤولين أمنيين وسكان متهمين بالتجسس أو الانخراط في ممارسات غير إسلامية؛ وطالبوا بتسليمهم الفتيات الثنابات من أجل الزواج الإجمالي والاعتصاب بحكم الأمر الواقع؛ وعلى نقاط التفتيش على طول الطريق الساحلي الرئيسي في ليبيا، قاموا باعتقال الأفراد الذين يتم التعرف عليهم بوصفهم موظفين في الدولة أو عاملين في قطاع النفط.⁵² مصادر تمويل تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا غامضة لكن يبدو أنها تشمل فرض الضرائب المحلية (بما في ذلك على التهريب)، والابتزاز، ونهب المصارف، والاختطاف والرعاية الأثرية. نهبت المجموعة حقول النفط وهاجمت الموانئ ومصافي التكرير، لكن ليس هناك دليل على أنها تهرب النفط.⁵³

يبدو أن الفرع الليبي يتمتع بعلاقات تشغيلية أوثق مع القيادة في بلاد الشام من أي مجموعات أخرى مرتبطة بالتنظيم. كلما تمكن من الاستمرار، وكلما ازداد تدفق الأجانب والمقاتلين الذين اكتسبوا خبرة قتالية في العراق وسورية، كلما سيصبح أكثر خطورة. في مطلع عام 2016، تمدد شرقاً، وأحكم قبضته على بن جواد (المدينة الأخيرة قبل المنشآت النفطية الرئيسية على الساحل) وهاجم النبية التحتية للنفط والغاز حول سدره. أما توسعه غرباً فيوقفه وجود الكتائب الثورية المتحالفة مع مصراته، والتي لا يثق بها سكان سرت لكن قد يكون بوسعها طرد تنظيم الدولة الإسلامية لو لم يكن قادتها يخشون فقدان الرجال أو المخاطرة بأن يصبحوا مطوقين في مدنهم.

"رغم أن ليبيا غير مقسمة على الأسس الطائفية الموجودة في العراق أو سورية، فإن بوسع تنظيم الدولة الإسلامية استغلال الفجوات بين الدولة والمجتمعات المحلية المرتبطة بالنظام السابق."

في مناطق أخرى في ليبيا، لم يحقق تنظيم الدولة تقدماً كبيراً. لديه وجود محدود وثابت في بنغازي (حيث يعتقد أنه نسق مع مجلس شورى ثوار بنغازي، وهو تحالف غير جهادي في معظمه يقاتل ضد القوات التي

⁵⁰ تقرير صدر مؤخراً للأمم المتحدة يقول إنه في أواسط كانون الأول/ديسمبر 2015، كانت 34 مجموعة قد بايعت تنظيم الدولة الإسلامية. "تقرير الأمين العام حول التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) على السلم والأمن الدوليين ونطاق جهود الأمم المتحدة في دعم الدول الأعضاء في مواجهة التهديد"، مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، 29 كانون الثاني/يناير 2016. هذا التقرير يتناول المجموعات الأكبر وحسب.

⁵¹ حتى مطلع عام 2015، كان معظم القادة المحليين لتنظيم الدولة الإسلامية من الليبيين، لكن بمرور الوقت زاد تدفق الأجانب. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان من سرت وهرارة، آذار/مارس 2015؛ ومع لاجئين من سرت، البيضاء، تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

⁵² مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان من بن جواد وبريقة، كانون الثاني/يناير 2016؛ ومقابلات مع سكان من سرت، البيضاء، تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

⁵³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان وحراس أمنيين، هرارة، آذار/مارس 2015؛ ومقابلات هاتفية أجرتها مع سكان وحراس أمنيين، سدره، كانون الثاني/يناير 2016.

يقودها اللواء خليفة حفتر).⁵⁴ لقد أخرج من درنة، وهي مدينة أخرى لها تاريخ في النشاط الجهادي، حيث يسيطر أنصار الشريعة وبعض المجموعات المرتبطة بالقاعدة. ليبيا غير منقسمة على أساس الخطوط الطائفية الموجودة في العراق أو سورية، والمشهد الفوضوي الحافل بالميليشيات أكثر صعوبة على الاستغلال بالنسبة لتنظيم الدولة، رغم أن بعض الديناميكيات العرقية، خصوصاً الفجوات القائمة بين الدولة والمجتمعات المحلية المرتبطة بالنظام السابق، واضحة للعيان.

في منطقة سيناء المصرية، أعلنت مجموعة أنصار بيت المقدس، وهي بشكل رئيسي مجموعة بدوية متجذرة في الاتجاهات الراديكالية في المنطقة في مطلع الألفية الثالثة (جزئياً كنتيجة للانتفاضة الفلسطينية الثانية) وفي موجة القمع في الفترة 2005-2007 التي تلت الهجمات الإرهابية على المنتجعات السياحية في طابا، ودهب وشرم الشيخ، مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية في تشرين الثاني/نوفمبر 2014.⁵⁵ يقوم تنظيم الدولة في سيناء بتجنيد الأعضاء الجدد محلياً في الغالب، كما كان يفعل عندما كان لا يزال "أنصار بيت المقدس"، لكن يمكنه أيضاً أن يستعين بمسليحين من وادي النيل، وأيضاً أن يشن هجمات رئيسية هناك، بما في ذلك في القاهرة. في شمال شرق سيناء، شكل تحدياً كبيراً للجيش المصري عبر تفجير الشاحنات المفخخة في المنشآت الأمنية، والانتشار الواسع للعبوات الناسفة محلية الصنع وفي بعض الأحيان شن معارك على نطاق واسع في المدن. قد تكون بعض خبرته مستمدة من المقاتلين الذين اكتسبوا خبرة قتالية في سورية أو العراق. لدى التنظيم أسلحة متطورة – حيث استخدم أنظمة دفاع جوي محمولة مرة واحدة على الأقل عام 2014 وصواريخ كورنيت روسية الصنع عام 2015 – وأعلن مسؤوليته عن إسقاط طائرة مدنية روسية في تشرين الأول/أكتوبر 2015.⁵⁶

في اليمن، يترتب على تنظيم الدولة الإسلامية، الذي أعلن عن نفسه في تشرين الثاني/نوفمبر 2014، أن يتنازع النفوذ مع تنظيم القاعدة القوي والموجود هناك منذ مدة طويلة والذي أثبت قدرته على الصمود. رغم ذلك فإن عدداً من مسلحي القاعدة القدامى وغيرهم أعلنوا بيعتهم للبحراني، وخصوصاً جلال محسن سعيد بلعدي، العضو السابق في القاعدة في شبه الجزيرة العربية من أبين، الذي قتل فيما يُشك أنه غارة جوية أمريكية بطائرات دون طيار في شباط/فبراير 2016. يبدو تنظيم الدولة الإسلامية أقوى ما يكون في حضرموت، وعدن ولحج، مع وجود متزايد في أبين. إنه أكثر وحشية وأقل اهتماماً بمراعاة الأعراف المحلية وتشكيل تحالفات محلية من القاعدة، لكنه يجند أعضاءه من بين الشباب الجنوبيين الفقراء والمحبطين. يبدو أن الهجمات التي يشنها على الأماكن المقدسة للزيديين، الذين ينتمون إلى طائفة إسلامية شيعية ينتمي إليها أيضاً الحوثيون، إلى إثارة الانقسامات الطائفية بحيث يصبح توسع تنظيم الدولة الإسلامية تقديم نفسه على أنه حامي السنة، وهي تكتيكات تخدمه بشكل جيد في العراق. رغم أن القتال حتى الآن لا يجري على أسس طائفية، وأن الهويات التقليدية الرئيسية في اليمن هي هويات تستند إلى القبيلة، والعشيرة، والمنطقة والانتماء السياسي وليس إلى الطائفة، فإن الاستقطاب الطائفي المتزايد يمكن أن يكون لصالح تنظيم الدولة.

بعض قادة طالبان باكستان السابقين، وهم تقليدياً أكثر طائفية من نظرائهم الأفغان، أسسوا تنظيم الدولة الإسلامية في المقاطعات الأفغانية في أقصى الشرق. طوال عام 2015، أعادت عدة مجموعات انشقت عن طالبان تشكيل نفسها بشكل متقطع ولأسباب مختلفة.⁵⁷ لقد شهدت بعض المناطق قتالاً عنيفاً بين طالبان ومسلحي تنظيم الدولة. إلا أن تحالف طالبان يظل المعارضة المسلحة المهيمنة، مع وجود جذور عميقة في

⁵⁴ يقود اللواء خليفة حفتر "عملية الكرامة"، وهو هجوم تقوده وحدات الجيش ومجموعات مسلحة أخرى متحالفة مع الحكومة التي تتخذ من طبرق مقراً لها ضد المجموعات الإسلامية المسلحة في بنغازي. يزعم حفتر وأنصاره أنهم يقاتلون المجموعات الإرهابية؛ أما منتقدوه فيتهمونه بمهاجمة مجموعات غير منطرفة أيضاً.

⁵⁵ لقد ساعد إهمال المناطق المأهولة من سيناء في الشمال الشرقي، والتكتيكات القمعية لأجهزة الأمن والمخابرات، وحصار غزة والاقتصاد القائم على التهريب الذي شجعه والذي شوه الاقتصاد المحلي، وضعف السلطة القبلية التقليدية وعملية قمع الإخوان المسلمين، ساعدت جميعها في توفير الظروف الاجتماعية التي تزدهر فيها المجموعات المسلحة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان من سيناء، والعريش، والشيخ زايد، أيار/مايو وتموز/يوليو 2015.

⁵⁶ المرجع السابق. وأيضاً مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين عسكريين مصريين وأجانب، القاهرة، 2014-2015؛ "Notice Regarding Egypt Sinai Peninsula", U.S. Federal Aviation Authority, 5 November 2014; and Jeremy Binnie, "Sinai militants attack Egyptian patrol boat", IHS Jane's Navy International, 19 July 2015.

⁵⁷ وتشمل هذه الأسباب الاستياء من قيادة طالبان الموجودة في باكستان، وتقديم تنظيم الدولة لرواتب أعلى، والتنافس على ممرات تهريب المخدرات والنهب والعلاقات بالسلفية، بين أسباب أخرى انظر، على سبيل المثال، "Antonio Giustozzi, "A Gathering Storm? The Islamic State campaign in Eastern Afghanistan", Jane's Terrorism and Insurgency Monitor, 13 November 2015; "Why Taliban special forces are fighting Islamic State", BBC World Service, 18 December 2015; and Hekmatullah Azamy and James Weir, "Islamic State and Jihadi realignments in Khorasan", *The Diplomat*, 8 May 2015.

أجزاء من مجتمع البشتون وتوسعها المتزايد في الشمال.⁵⁸ في المناطق الداخلية الجنوبية، تعد الأيديولوجية الجهادية السلفية لتنظيم الدولة غريبة عن التقاليد الديوبندية وتقاليد البشتون الريفية التي تستند إليها المجموعات المسلحة.

رغم ذلك، يبدو أن قادة طالبان يأخذون تهديد تنظيم الدولة الإسلامية على محمل الجد. لقد شكل إعلان الخلافة، والبيغادي "أميراً للمؤمنين"، تهديداً مباشراً لشرعية إمارة طالبان والملا عمر، الذي كان يُعتقد أنه لا يزال على قيد الحياة والذي كان قادة القاعدة وطالبان باكستان قد بايعوه. رغم أن الطواهي بايع بعد ذلك خليفة الملا عمر، الملا منصور، فإن هذا الأخير لا يتمتع بشيء من المكانة أو الشرعية اللتين كان يتمتع بهما سلفه.⁵⁹ لقد عززت نجاحات طالبان الأخيرة في ميادين المعارك – في الشمال الشرقي، حيث استولت لفترة قصيرة على عاصمة الإقليم، قندز، للمرة الأولى منذ عام 2001، ومن ثم في المناطق الداخلية في الجنوب – الدعم لمنصور، لكن ذلك سيضعف إذا اختار التوصل إلى تسوية تفاوضية استجابة للضغوط الباكستانية.

بحلول أواسط عام 2015، كانت معظم المجموعات المسلحة في شمال القوقاز في روسيا، إمارة القوقاز، التي تربطها علاقات غير وثيقة بالقاعدة ولم تصبح جزءاً منها، قد بايعت البيغادي. وبعد ذلك بفترة قصيرة، أعلن تنظيم الدولة الإسلامية تأسيس "ولاية القفقاس". إلا أن فرع القوقاز كان قد تبدد منذ عمليات القمع التي أطلقتها الأجهزة الأمنية الروسية عام 2013. إضافة إلى جاذبية القتال في سورية، يبدو أن ذلك دفع العديد من الجهاديين الروس إلى بلاد الشام. يذكر أن المجموعات المسلحة في شمال القوقاز لم تتلق الدعم المالي الذي توقعته من الرقة. حتى الآن، لا يبدو القوقاز أولوية بالنسبة لتنظيم الدولة الإسلامية مثل ليبيا أو جنوب آسيا، رغم أن مقاتلي تنظيم الدولة الذين لهم جذور في المنطقة يدعون المسلمين هناك في كثير من الأحيان لمهاجمة الدولة الروسية باسمه.⁶⁰

يبدو أن انضمام بوكو حرام إلى تنظيم الدولة الإسلامية في آذار/مارس 2015 مدفوع جزئياً برغبة شيكاو، بعد أن تعرض لخصائر أفقدته بعض المناطق، ومن أجل الدعاية والشرعية التي يمكن أن يجنيها من ربط حركته بالجهاد العالمي. حتى الآن لم يتغير الكثير من حيث قدرات المنظمة، أو تكتيكاتها أو هويتها باستثناء حملتها الدعائية الأكثر تقدماً على الإنترنت. من غير الواضح إذا كان هناك علاقات عملية تربط التنظيم بالرقة. رغم أن هناك مقاتلين من خارج منطقة حوض بحيرة تشاد في صفوفها، فإن عدد الأجانب أقل مما هو في حركات جهادية أفريقية أخرى.⁶¹ من المرجح أن تستمر بوكو حرام بفرص معاناة كبيرة في الأراضي الداخلية التي تتواجد فيها وفي مناطق أخرى، إلا أن ربطها مباشرة بالحركة الجهادية العالمية يخاطر بسوء تشخيص التهديد الذي تشكله.

إن عدم قدرة تنظيم الدولة الإسلامية حتى الآن على تكرار نجاحه في العراق لا يقلل من أهميته. إن فهم جذوره العراقية وقدراته المسلحة أمر محوري إلا أنه لا يحيط سوى بجزء من طبيعته المتولدة؛ كقوة مقاومة سنية عراقية وكقوة ألفية عابرة للأوطان؛ وكمصدر لبعض الحماية، وبالنسبة لآخرين كمصدر للمغامرة أو اكتساب الهوية؛ وهيكلياً دولة، لكن أيضاً بوصفه فكرة ثورية. إن موارده وقدراته العسكرية والاحتمالات البعيدة للقضاء عليه على المدى القريب يجعله تحدياً أكثر صعوبة من أي حركة جهادية سابقة. إنه يستغل الانقسامات ببراعة، خصوصاً على امتداد خط التصدع السني الشيعي، لكن أيضاً انقسامات أخرى، مثل تلك القائمة بين أنقرة والأكراد، حيث تخاطر هجماته بزعة استقرار بلد يتعرض للتهديدات على جبهات عدة.⁶²

إن غياب مجالات التعبير عن المعارضة السلمية وغياب الفرص المتاحة أمام الشباب يجعل العديد من المجتمعات هشة وعرضة لعمليات التجنيد التي يقوم فيها، حتى لو استطاع اجتذاب أقلية صغيرة وحسب. لقد صمم تنظيم الدولة الإسلامية نموذجاً للتجنيد على المستوى المحلي ويتعارض مع مؤسسة عالمية. من خلال قيامه بالتجنيد عبر الإنترنت بنفس الدرجة التي يفعل فيها ذلك من خلال الشبكات الدينية التي اعتمدت

⁵⁸ تجمع طالبان فصائل أفغانية مختلفة، وتتضم إليها مجموعات باكستانية مسلحة مثل عسكر طيبة. وأعلنت الحركة الإسلامية في أوزبكستان في آب/أغسطس 2015 مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية، لكن يبدو أنها قتلت إلى جانب طالبان في هجومها الذي شنته في قندز في مطلع عام 2015. تسيطر طالبان الآن في سائر أنحاء البلاد على مساحات من الأراضي أكبر من أي وقت مضى منذ التدخل الذي حدث بقيادة أمريكية، طبقاً للمفتش العام الأمريكي الخاص لإعادة الإعمار في أفغانستان في تقريره الثلاثين للكونغرس الأمريكي (6 كانون الثاني/يناير 2016).

⁵⁹ تستند مبايعة قادة القاعدة لقادة طالبان إلى مبايعة بن لادن للملا عمر بوصفه أميراً للمؤمنين في أفغانستان في تسعينيات القرن العشرين. كما بايع الطواهي الملا عمر وبياع الأن خلفه، الملا منصور.

⁶⁰ طبقاً لمسؤولين روس، فإن حوالي 5,000 مواطن روسي يقاتلون الآن في سورية والعراق. انظر، على سبيل المثال، Crisis Group Report, *The North Caucasus Insurgency and Syria*, op. cit. للمزيد حول المجموعات المسلحة في القوقاز، انظر Crisis Group Report, *The North Caucasus Insurgency and Syria*, op. cit.

⁶¹ داع سنغالي، اعتقل من قبل السلطات النيجيرية في نيامي، اعترف بوجود موريتانيين، وسنغاليين وسودانيين إضافة إلى التشاديين في صفوف بوكو حرام. مشاهدات لمجموعة الأزمات لسجلات تحقيقات الشرطة، داكار، تشرين الأول/أكتوبر 2015.

⁶² انظر، على سبيل المثال، Jean-Marie Guéhenno, "Don't sacrifice Turkey to save Syria", *The Guardian*, 29 February 2016.

عليها الحركات السابقة، وملء الفراغ الذي تركه فشل الدول بتقديم بديل، فإنه يستفيد من أسواق جديدة لتجنيد الجهاديين.

ج. تحول استراتيجي للقاعدة؟

مع ظهور تنظيم الدولة الإسلامية، تطورت القاعدة أيضاً. لقد أضعفت الغارات الجوية بالطائرات دون طيار والهجمات العسكرية نواتها الصلبة في المناطق القبلية الباكستانية، وباتت خطب الظواهري المصورة على الفيديو وبشكل غير متقن مملة بالمقارنة مع عمليات الترويج المبهرة التي يقوم بها تنظيم الدولة على الإنترنت. لكن ورغم جهود تنظيم الدولة لاستمالة أعضاء القاعدة في المغرب، والصومال، وسورية واليمن، فإن أياً من كبار القادة، الذين عمل معظمهم مع بن لادن والظواهري في جنوب آسيا، لم ينشق. لقد أصبحت بعض المجموعات ذات العضوية في القاعدة أكثر قوة من أي وقت مضى، حيث استولت على الأراضي، والتصقت بالمجموعات المسلحة المحلية وقتلت إلى جانب الحركات السنية الأخرى بدلاً من سحقها أو استيعابها.

في سورية، كما تم وصفه أعلاه، فإن جبهة النصرة خسرت في البداية من خلاف تنظيم الدولة الإسلامية مع القاعدة. العديد من مقاتليها الأجانب انضموا إلى تنظيم الدولة، إلا أنها أعادت التجمع، وبهوية سورية أقوى فإنها باتت تأتي في المرتبة الثانية فقط بين المجموعات المسلحة في الشمال بعد أحرار الشام.⁶³ حتى قبل الانقسام، فإنها كانت أكثر انضباطاً في هجماتها على المدنيين، وخفتت من التركيز على الأيديولوجيا في حكمها بينما حاولت أن توفر الخدمات للسكان المحليين، وعملت مع مجموعات مسلحة أخرى في ظل علاقات تشغيلية وثيقة معها. ويشكل مقاتلوها وانتحاريوها قوة النخبة الهجومية في المعارضة المسلحة، ولعبت دوراً محورياً في الهجمات حول حلب وإدلب في صيف عام 2015.⁶⁴

"رغم جهود تنظيم الدولة الإسلامية لاستمالة أعضاء القاعدة، فإن أياً من كبار القادة لم ينشق عنها."

مسؤولون أمريكيون يقولون إنه لا يزال هناك أفراد في الحركة تربطهم علاقات وثيقة بقيادة القاعدة ويحكون المؤامرات ضد الغرب.⁶⁵ يمكن لعملية سلام تقدم احتمالاً لرحيل الأسد أن تؤدي إلى حدوث انقسام في الأغلبية المقاتلة، التي تعد الأولوية بالنسبة لها إيجاد نظام جديد في سورية، عن أولئك الذين تدفعهم أهداف عابرة للأوطان - وهو انقسام يبدو حتى الآن أن خطاب الجولاني يستغله.⁶⁶ الجهود التي بذلتها مجموعات المعارضة المسلحة لإقناع قيادة النصرة بقطع صلة المجموعة بالقاعدة لم تنجح حتى الآن. إن النزعة المتزايدة لفرض سلطتها الأحادية على حساب مجموعات المعارضة المسلحة الأخرى يلحق الضرر بسمعتها داخل المعارضة المسلحة، وكذلك الانتقادات العلنية التي توجهها للمعارضة المسلحة (بما في ذلك أحرار الشام) لارتباطها بدول داعمة وانخراطها في محادثات برعاية الأمم المتحدة.⁶⁷ لكن طالما استمرت الحرب، فإن من المرجح أن تبقى النصرة قوية وأن يستمر تركيزها على سورية، ولن تواجهها مجموعات المعارضة المسلحة الأخرى خشية فقدان مساهمتها الحيوية ضد النظام.

في اليمن، تعد القاعدة في شبه الجزيرة العربية مستفيداً رئيسياً من عمليات القصف التي تقودها السعودية. على عكس تنظيم الدولة الإسلامية، الجديد على البلاد، فإن للقاعدة تاريخ طويل وشبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية والعائلية هناك. إنها موجودة في حضرموت، وبعد طرد الحوثيين، باتت موجودة في أجزاء من عدن أيضاً. كما تنشط المجموعة الآن في تعز والبيضاء. بعد ثورة عام 2011، أقامت شبكات من الأعضاء تعرف جماعياً بـ "أنصار الشريعة"، المرتبطة بالقاعدة لكن التي لا تفرض معايير صارمة على العضوية فيها، حيث تسمح بالتجنيد على نطاق أوسع وتتحاشي الارتباط بشكل صريح بالقاعدة. لقد تجاوزت مقتل قائدها، ناصر الوحيشي، الذي قتل في ضربة جوية من طائرة بلا طيار في حزيران/يونيو 2015. يبدو أن الشخص الذي كان نائبه لمدة طويلة، ناصر الريمي، المدرب في معسكر القاعدة في تسعينات القرن العشرين،

⁶³ أحرار الشام هي العضو الأكثر قوة في تحالف جيش الفتح، حيث لها معازل بشكل خاص حول حلب. انظر الجزء III، د. وكذلك تقارير مجموعة الأزمات، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة، و"مقاربة جديدة"، مرجعان سابقان.

⁶⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في فصائل المعارضة المسلحة، تركيا والأردن، 2013-2015.

⁶⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين، واشنطن دي سي 2015؛ وأيضاً تقرير مجموعة الأزمات، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة"، مرجع سابق.

⁶⁶ انظر، على سبيل المثال، "Nusra leader: Our mission is to defeat Syrian regime", Al Jazeera America, 28 May 2015; "For the First Time on Orient News, Comments of the Leader of Juhbat al-Nusra, Abu Mohammad Jolani" [English trans.], video, YouTube, 12 December 2015, www.youtube.com/watch?v=xXgeoFIUY8Y.

⁶⁷ مقابلات واتصالات لمجموعة الأزمات مع مسؤولين في المعارضة المسلحة، تركيا، 2015-2016.

قد عزز سلطته بسرعة. إن علاقاته الشخصية، و بروز الحركة بوصفها العضو الأقرب إلى قيادة القاعدة – إضافة إلى أهمية التراجع عن البيعة – يعني أنه من غير المرجح أن يتخلى عن القاعدة من أجل تنظيم الدولة الإسلامية.

من الصعب تعريف العلاقات المحددة بين القاعدة في شبه الجزيرة العربية والمليشيات الأخرى التي تقاتل الحوثيين في الجنوب، خصوصاً الحراك القوي الانفصالي وغير الإسلامي. في بعض الأماكن – عدن بعد تحريرها، على سبيل المثال – فإنها تقاتل بعضها بعضاً أصلاً. وفي أماكن أخرى، مثل تعز، حيث تصطف حتى الآن ضد الحوثيين، قد يتبين أن هذه التحالفات مؤقتة. لكن من الواضح أن الحرب تعد مكسباً كبيراً للقاعدة. حتى إذا نجحت وساطة الأمم المتحدة في التوصل إلى اتفاق سلام بين الحوثيين وأعدائهم – وهو ما لا يزال يبدو بعيد المنال – فإن إخراجها عسكرياً سيكون صعباً، خصوصاً دون تسوية القضية الجنوبية.

رغم أن القاعدة في المغرب الإسلامي طردت من قبل القوات الفرنسية والتشادية من مدن في شمال مالي كانت تسيطر عليها لنصف عام 2013، فإن مقاتليها حصلوا على أكثر من موطئ قدم في ليبيا، التي أصبحت مركزاً للشبكات الجهادية التي تمتد جنوباً إلى منطقة الساحل، وغرباً إلى تونس والجزائر وشرقاً إلى ميادين المعارك في بلاد الشام. مكّن الفراغ الأمني الذي حدث في ليبيا من حدوث الهجوم على مجمع النفط والغاز في عين أميناس شرق الجزائر في كانون الثاني/يناير 2013، والذي نُفذ بقيادة القائد السابق في القاعدة في المغرب الإسلامي، مختار بلمختار.⁶⁸ في المشهد المجزأ للمجموعات المسلحة في الساحل، تقيم المجموعات بشكل منتظم تحالفات وتنقسم أيضاً، لكن في الوقت الراهن، فإن بلمختار، الذي شكل مجموعة جديدة (المرابطون) وقائد القاعدة في المغرب الإسلامي عبد المالك دروكديل، وكلاهما يتمتعان بعلاقات مع جيل أفغانستان في القاعدة، من غير المرجح أن يبدلا ولاءهما وأن يبايعا تنظيم الدولة الإسلامية. لقد أعلن بلمختار أن له بدأ في الهجمات الأخيرة التي تمت في بامكو وواغادوغو.⁶⁹

أخيراً، صمدت حركة الشباب في الصومال أمام هجمات شنتها على مدى السنوات القليلة الماضية بعثة الاتحاد الأفريقي، وخسارة مراكز تجمع سكانية رئيسية، والهجمات الأيديولوجية من إسلاميين آخرين، بمن فيهم قادة جهاديين من مرحلة سابقة، وفي عام 2013، أمام صراع داخلي على السلطة. يكمن جزء من صمودها في ضعف خصومها؛ عدم قدرة السلطات الانتقالية على تطوير إدارة محلية بديلة ذات مصداقية في المناطق الريفية والجنوبية الوسطى من الصومال وعمليات قوات الاتحاد الأفريقي الخرقاء في كثير من الأحيان. لكنه يكمن أيضاً في نقاط قوة الحركة نفسها، خصوصاً ظهورها في أجزاء من تلك المنطقة ومرونتها التكتيكية.⁷⁰ على مدى الشهور الستة الماضية، شنت هجمات متماثلة على قواعد الاتحاد الأفريقي واستولت على مواقع بعدد تلك التي خسرتها. وقد باتت تسيطر على جزء كبير من مقديشو، على الأقل ليلاً.⁷¹ الحركة، التي اتهمت بالماضي خطأ بأنها أجنبية، باتت القوة الأطول بقاءً – سياسياً واجتماعياً وعسكرياً – في الصومال.

عبد القادر مؤمن، أحد الدعاة الأيديولوجيين لحركة الشباب والمرتبطة بالشتات والمقيم في شمال الصومال، انشق مؤخراً والتحق بتنظيم الدولة الإسلامية مع حفنة من الرجال. إلا أن زعيم الشباب الجديد، أبو عبيدة، والحلقة العليا المحيطة به من غير المرجح أن يقطعوا علاقاتهم بالقاعدة.⁷² عودة القاعدة في شبه الجزيرة العربية للظهور في اليمن، والتي تتمتع حركة الشباب بعلاقات وثيقة معها، تجعل من الانفصال أقل احتمالاً.

⁶⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمنيين وسكان من درنة، البيضاء، 2015.

⁶⁹ Jason Burke, "Mokhtar Belmokhtar: the 'uncatchable' chief of Africa's Islamic extremists", *The Guardian*, 21 January 2016.

⁷⁰ Crisis Group Africa Report N°99, *Somalia: Al-Shabaab – It Will Be a Long War*, 26 June 2014. منذ عام 2008، تمزج حركة الشباب بين تكتيكات المجموعة المسلحة والهجمات الإرهابية، مثل محاصرة المدن، وقطع خطوط الإمداد، والقيام بغارات ليلية، وفي نفس الوقت شن ضربات في المناطق الحضرية الواقعة خارج سيطرتها المباشرة. إنها تدفع رواتب جيدة لموظفيها بفضل مصادر الدخل المتنوعة والمتمثلة في: التبرعات، والابتزاز، حتى في أجزاء من مقديشو، والنهب، والخطف وفرض الضرائب على القراصنة والتهرب. تواصلها الفعال؛ ومحتواها الموجود على الإنترنت يستهدف الشتات الصومالي وبعد جذباً، كتنظيم الدولة الإسلامية، بالنسبة لرغبة الشباب بالانتماء إلى مجموعة بقدر رغبته بالحصول على مصداقية دينية. تركز الحملات الدعائية في القرى على الحاجة إلى الدفاع عن الصومال والإسلام ضد الغزاة. لقد ساعد النفوذ الأجنبي على تشكيل تطورها الأيديولوجي والتكتيكي لكنه لم يود إلى اكتساح نواتها الصلبة الصومالية. ولا تزال تتطلع إلى تأسيس إمارة شرق أفريقية، وتنتشر معظم موادها الدعائية باللغة السواحلية وليس باللغة الصومالية.

⁷¹ ملاحظات، ومقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، مقديشو، كانون الثاني/يناير 2016.

⁷² قبل الطواهي بيعة الشباب فقط في عام 2012 – تشير رسائل بن لادن التي وجدت في أبوت آباد إلى أنه كان يعتبر الحركة غير منضبطة وأنها تشكل عبئاً – إلا أن العلاقات بالقاعدة تعود إلى تسعينيات القرن العشرين. Don Ressler, Gabriel Koehler-Derrick, Liam Collins, Muhammad al-Obaidi, and Nelly Lahoud, "Letters from Abbottabad: .Bin Ladin Sidelined?", CTC West Point, 3 May 2012.

تهديد الحركة لكينيا مقلق بشكل خاص. يمكن لخطوات خاطئة تتخذها الحكومة أو الأجهزة الأمنية، مثل الاعتقالات أو العنف غير التمييزي أو جعل الصوماليين أكباش فداء، أن تنفّر المسلمين وتدفعهم إلى أحضان الشباب وتجعل جزءاً من البلاد غير قابل للحكم. في الوقت الحاضر، فإن تعيين كينيا لعناصر أمنية من أصول صومالية في الشمال حقق نجاحاً في جسر الفجوة بين الدولة والمجتمعات المتأثرة، رغم أنه ينبغي على السلطات أن تعمل بتنسيق أكبر مع الزعماء المحليين، وتسوية النزاعات المحلية التي تستغلها حركة الشباب وتحسين الأحوال المعيشية. لقد كانت الإجراءات أقل نجاحاً في كوست، وهي منطقة أخرى يقطنها العديد من المسلمين وتتعرض لخطر الاختراق من قبل حركة الشباب.⁷³

استراتيجية القاعدة التي تمر بحالة من التطور، والموثقة في رسائل بين قادة أعضاء فيها، والتي تنفذ على الأرض، تعد جزئياً رداً براغماتياً على الفرص الجديدة وعلى ضرورة التكيف بعد ما بدا من أن الاحتجاجات العربية عام 2011 ستجعل من القاعدة تنظيمياً لم يعد ذا أهمية تذكر.⁷⁴ كما قد تعكس انتقال القيادة إلى الطواهي وكيف أن الانفصال عن تنظيم الدولة الإسلامية سمح له بالنأي بالحركة عن التكتيكات الأكثر تطرفاً. إذا كانت تجربة الزرقاوي والصحوات قد علمت تنظيم الدولة الإسلامية إظهار درجة أقل من الرحمة مع المنافسين المحتملين، يبدو أن بعض الفروع المحلية للقاعدة قد خرجت باستنتاجات مختلفة، وجميعها منطوقية من الناحية الاستراتيجية: درجة أكبر من البراغمة مع المجموعات المسلحة الأخرى والمجتمعات المحلية؛ والمزيد من الحذر فيما يتعلق بقتل المسلمين؛ ودرجة أكبر من الحساسية للأعراف المحلية والرأي العام.

"ليس من الواضح إذا كان التحول الاستراتيجي للقاعدة يبدئ تغييراً في التطلعات البعيدة المدى لأي من المجموعات المرتبطة بها."

لا تزال بعض المجموعات المرتبطة بالقاعدة تهاجم المدنيين والأهداف الغربية بشكل أساسي؛ وتعد الهجمات التي شنتها القاعدة في المغرب الإسلامي مؤخراً على فندق في غرب أفريقيا، والتي كانت تهدف جزئياً إلى فرض وجود القاعدة كقوة أبرز من تنظيم الدولة الإسلامية في المنطقة، مثلاً على ذلك.⁷⁵ حتى المجموعات التي تظهر درجة أكبر من البراغمة تحتوي مكونات، ولو صغيرة، تهدف إلى التوسع إلى ما وراء الحدود القائمة. إلا أن القادة المحليين سمحوا للمنظمات الإنسانية الدولية بتقديم المساعدات في المناطق التي يسيطرون عليها.⁷⁶ بعض المسؤولين القطريين يروجون بهدوء لجعل النصر "أكثر اعتدالاً" – وهو احتمال بعيد، لكن بالنظر إلى قوتها فقد يستحق ذلك مزيداً من الاستكشاف.⁷⁷ قد يكون هناك عمليات انخراط أخرى أيضاً، بالنظر إلى العلاقات التكتيكية بين الفروع المحلية للقاعدة والقوى السننية المدعومة من دول إقليمية، رغم أن هذا قد يهدف إلى استمالة الحركات لتقاتل بالوكالة ضد إيران وحلفائها أكثر من كونه محاولة لترويضها.

د. هويات متغيرة؟

لقد أدى ظهور تنظيم الدولة الإسلامية والحروب العربية الجديدة إلى تغيير التكتيكات، والاستراتيجيات والمبادئ التي يعتنقها الجهاديون. إن تقديم مرتسمات عالمية لهذا التحول يتجاوز نطاق هذا التقرير وسيكون صعباً، بالنظر إلى سرعة التغيرات في المشهد، والطبيعة المتحولة للمجموعات وانتقال الأعضاء فيما بينها ونزعة الحركات ذات الأيديولوجيات والأهداف المختلفة للتعاون. غير أن بعض المناظرات لها مضامين مهمة على السياسات. هذه المناظرات التي تصاغ عادة بعبارات فقهية نادراً ما تبتعد عن الطبيعة

⁷³ انظر Crisis Group Africa Briefing N°114, *Kenya's Somali North East: Devolution and Security*, 17 November 2015. وأيضاً مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات في مقاطعة كوست، كينيا، تشرين الثاني/نوفمبر 2015. أحد سكان لامو، على سبيل المثال، قال إن "حظر التجول المستمر منذ سنة في لامو يبدو وكأنه عقاب جماعي".

⁷⁴ على سبيل المثال، في عام 2012، حث زعيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية ناصر الوحيشي أمير القاعدة في المغرب الإسلامي على "تبني نهجاً تدريجياً" فيما يتعلق بتطبيق الشريعة. "الرسالة الأولى من أبو بصير إلى أمير القاعدة في المغرب الإسلامي"، أوراق القاعدة، أسوشيتد برس، غير مؤرخة، على الموقع:

www.longwar-journal.org/images/al-qaida-papers-how-to-run-a-state.pdf كما كتب دروكل إلى مساعديه يحثهم على عدم تنفير السكان المحليين وعبر عن أسفه للانفصال عن المجموعات المسلحة الطوارقية. انظر Pascale Combelles Siegel, "AQIM's Playbook in Mali", *CTC Sentinel*, 27 March 2013; also James Cockayne, *Hidden Power: The Strategic Logic of Organized Crime* (Hurst, forthcoming July 2016).

⁷⁵ في بنغلادش، أعلن فرع جديد هو القاعدة في شبه القارة الهندية، أسسه الطواهي في أيلول/سبتمبر 2014، عن وجوده بهجمات استهدفت بشكل رئيسي المدونين أو النشطاء الذين يعتقدون ما تعتبره القاعدة أفكاراً الحادية.

⁷⁶ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولي منظمات إنسانية، تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

⁷⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول قطري، خريف 2015؛ ومع أعضاء في المعارضة المسلحة السورية وشخصيات سياسية إسلامية، تركية وسورية، 2015.

الاستراتيجية؛ حيث إن الحجج المتعلقة بما يسمح به الإسلام ترتبط على نحو وثيق بما يمكن تطبيقه فعلياً على الأرض.

كثيراً ما تدور الخلافات بين تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة، على الأقل على مستوى القيادة، حول التكتيكات والاستراتيجيات أكثر مما تدور حول الأهداف. كلاهما لا تقرّان بالأنظمة المحلية وتعتبرانها غير إسلامية وتريد طرد الغرب وروسيا من الأراضي الإسلامية وتدمير إسرائيل. وبالنسبة لكليهما، فإن الطموح يظل إقامة خلافة تلغي النظام الدولي. إلا أن مساراتهما وإطارهما الزمني لتحقيق ذلك يختلفان بحدّة، ما يعكس التجارب المتناقضة لقادتهما والسياقات التي ظهرتا فيها.

من الناحية الأيديولوجية، فإن حجر الزاوية في الحملات المسلحة لكلا المجموعتين هو مبدأ التكفير – اعتبار الأشخاص أو المجموعات الذين يبدون مسلمين على أنهم فعلياً غير مسلمين، وكذلك السماح بقتلهم دون خشية من العقاب، والالتفاف على المنع القرآني العام لقتل المسلم للمسلم. يمكن استحضار التكفير في ثلاثة ظروف: ضد الطغاة المسلمين؛ وضد المسلمين الذين يخدمون الطغاة أو يعملون في خدمة المصالح الأجنبية؛ وضد المسلمين الذين لا يمارسون دينهم على نحو صحيح، وهو بند يستهدف الشيعة بشكل خاص، الذين يشار إليهم من قبل ما يسمى بالتكفيريين على أنهم روافض (الذين يرفضون التسلسل السنّي في الخلافة بعد النبي محمد). مع وجود استثناءات بارزة يستلهمها الجهاديون، فإن التكفير لم يستخدم بشكل متواتر في التاريخ الإسلامي، وكان يقتصر على حالات فردية ووضعت له عتبة فقهية عالية.⁷⁸ لقد عكس الأيديولوجيين الجهاديون مؤخراً جميع هذه القيود.

في حين أن القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية يتشاطران، نظرياً على الأقل، هذا المفهوم الموسع للتكفير، فإن سلوكهما يختلف بشكل كبير. لقد حاولت القاعدة عادة تحاشي إيقاع ضحايا بين المسلمين دون مبرر. كان استهداف الزرقاوي للشيعة في العراق تحولاً عكس جزئياً كراهيته الشخصية للشيعة، لكنه عكس أيضاً خطوط المعارك الجديدة في العراق والتصورات عن تنامي نفوذ إيران. شرع عن التكفير، بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون به، هجوماً سنياً شاملاً على ما يعتقد أنهم وكلاء إيران في بغداد.

لقد أسهم أيضاً في صياغة مقاربة الزرقاوي أيديولوجيون جهاديون جدد، يستعيرون من تقاليد غير إسلامية.⁷⁹ يشرح أبو بكر الناجي، وهو اسم مستعار لمؤلف غير معروف، في كتابه *إدارة التوحش* كيفية استخدام واستغلال العنف الشامل للإطاحة بحاكم مستبد وتعزيز السلطة.⁸⁰ بالبناء على عمل آخرين، بمن فيهم البعض من ذوي العلاقات بالقاعدة، مثل أبو يحيى الليبي، طور أبو عبد الله المهاجر هذه الفكرة وجادل في صحة وفائدة تكتيكات محددة، بما فيها التفجيرات الانتحارية، والأضرار الجانبية، والخطف، والاعتقال وقطع الرؤوس.⁸¹ يدافع هؤلاء الكتاب عن العنف ليس فقط من أجل حماية الطائفة السنّية المهمشة، بل أيضاً لإعادة صياغة المجتمع وتوجيه جيل سُحق في ظل عقود من الحكم القمعي ونظام عالمي معادٍ.

على الأقل في مواده الدعائية، يهدف تنظيم الدولة الإسلامية إلى إلغاء "المنطقة الرمادية"، أو ما يسميه الفضاء الحيادي بين الخلافة من جهة والأنظمة الهرطقية والقوى الغربية من جهة أخرى. على المسلمين القتال من أجل الخلافة وإلا بدوا كغير المؤمنين، وجزءاً من تلك الأنظمة. لقد أظهر قادة تنظيم الدولة الإسلامية المحليون البرامغائية أحياناً في العراق وسورية ومن المحتمل أن يفعلوا ذلك في أماكن أخرى، بالنظر إلى أن إلغاء جميع أشكال المعارضة السنّية سيكون مستحيلاً. رغم ذلك، فإن تنظيم الدولة يخوض حرباً موازية على جميع الجبهات: ضد الأعداء الرئيسيين، وكلاء إيران والشيعة؛ ومجموعات المعارضة المسلحة السنّية

⁷⁸ Mohammed M. Hafez, "Takfir and violence against Muslims", in Moghadam and Fishman (eds.), *Fault Lines in Global Jihad*, op. cit

⁷⁹ في *Architect of Global Jihad: The Life of Al-Qaida Strategist Abu Mus'ab al-Suri* (London, 2008) يظهر برينار ليا أن السوري كان مفكراً انتقائياً، يظهر تشككه في بعض الأحيان حيال التصلب العقائدي للسلفية بسبب القيود التي تفرضها على استراتيجية الجهاد.

⁸⁰ *The Management of Savagery: The Most Critical Stage Through Which the Umma Will Pass* (tr., Will McCants, 2006), John M. Olin Institute for Strategic Studies at Harvard University, available at: <http://tinyurl.com/m9olxnj>

⁸¹ للمزيد حول كتاب أبو عبد الله المهاجر، انظر "Takfiri قضايا في حرب الجهاد، انظر *Issues in the Fiqh of Jihad*, literature makes headway in Lebanon", al-Akhbar English, 11 September 2012. Abdullah Warius and Jarret Brachman, "Abu Yahya al-Libi's Human Shields in Modern Jihad", *CTC Sentinel*, 15 May 2008. وللمناقشة مفيدة حول مساهمات الناجي والمهاجر في تنظيم الدولة الإسلامية، انظر Hanieh and Rumman, *The "Islamic State" Organization*, op. cit

الأخرى؛ والقوى السنية التي يعتبرها عميلة للغرب؛ والروس بوصفهم داعمين كفار للأسد وإيران؛ والقوى الغربية وما إلى ذلك. لقد حاك الخيوط الطائفية، والثورية والمناهضة للإمبريالية في التفكير الجهادي معاً.

لقد ردت القاعدة والمجموعات المرتبطة بها بشكل مختلف على الاضطرابات الشعبية. قد تحارب القاعدة في شبه الجزيرة العربية والنصرة في حروب طائفية وقد تستهدف الحوثيين والعلويين؛ ولا تخجل القاعدة من قتل المدنيين أو التعاون، في باكستان على سبيل المثال، مع حلفاء طائفيين جداً.⁸² إلا أن الظواهري، مثل بن لادن من قبله، ينزع للاعتقاد بأن استعداد الشيعة بشكل عام وتنفيذ الرأي العام المسلم من خلال عمليات القتل غير التمييزي تتعارض مع الأهداف الرئيسية المتمثلة في مهاجمة الغرب، وإخراجه من العالم الإسلامي والإطاحة بالأنظمة الاستبدادية المحلية.⁸³ ما يعبر عن السمة المميزة لهذا النهج كان احتفال بعض أنصار القاعدة بـ "العناية" التي بذلت من أجل عدم إراقة دماء المسلمين خلال هجوم القاعدة في المغرب الإسلامي في بامكو في تشرين الثاني/نوفمبر 2015، مقارنة بالهجمات غير التمييزية لتنظيم الدولة الإسلامية في باريس في الأسبوع الذي سبقها (في الواقع فإن بعض الضحايا غير الغربيين في بامكو وواغادوغو كانوا من المسلمين).⁸⁴ في سورية واليمن، عملت القاعدة مع ميليشيات مدعومة من قوى تزعم أنها تريد الإطاحة بها، وكما وُصف أعلاه، تلقت مساعدة أحياناً من بعض الدول.⁸⁵

كما تغيرت المناظرة حول الأعداء "القريبين" و "البعيدين". رغم أن القاعدة كانت طليعية في الانتقال من الدول "الهرطيقية" في المنطقة إلى الغرب في أواخر تسعينيات القرن العشرين، فإن معظم المجموعات الأعضاء فيها تقاتل محلياً في الوقت الراهن. على العكس من ذلك فإن تنظيم الدولة الإسلامية في البداية، عندما كان يعمل تحت اسم القاعدة في العراق وحالياً، ركز بشكل أساسي على العراق، وسورية وأجزاء أخرى من العالم الإسلامي. لكن يبدو أنه تحول على مدى العام الماضي، من تشجيع هجمات "الذئاب المنفردة" ببساطة في مناطق أخرى إلى تخصيص الموارد والعمل بنشاط لتوجيه ضربات إلى الغرب، على سبيل المثال، تنسيقه لموجة القتل في باريس. ويهدف ذلك إلى زرع القلاقل داخل المجتمع الغربي وإحداث ردة فعل ضد الشتات المسلم من شأنها أن تولد المزيد من الأنصار؛ وجزئياً لتعزيز موقعه كقائد للحركة الجهادية والخليفة الحقيقي لبن لادن.⁸⁶ كما ساعد تركيزه على المسلمين في أوروبا واستغلال الإنترنت، وإطلاق حملات دعائية متعددة اللغات إلى إلغاء المسافة إلى حد ما بين القريب والبعيد.

قد تشكل المواقف حيال نظام الأمة – الدولة، في بعض الصراعات، متغيراً في تحديد مع من يمكن الانخراط دبلوماسياً. على المستويات العليا، لتنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة أهداف عابرة للأوطان. رغم هويته الرئيسية كحركة مسلحة عراقية، فإن تنظيم الدولة الإسلامية – على الأقل طبقاً لبياناته – يريد إثارة حرب على امتداد العالم الإسلامي كخطوة لتوسيع خلافته؛ كما يعتبر الظواهري والقادة الأعضاء في القاعدة صراعاتهم المحلية جبهات لجهاد أوسع عابر للأوطان.

حركات أخرى، بما في ذلك بعضها التي تعرّف نفسها على أنها جهادية، تعتنق أهدافاً وطنية: إطاحة حكومة غير شرعية، محاربة "المحتلين" الأجانب أو تأسيس مفهومها للشريعة. في طالبان العديد من العناصر، إلا أن نواتها الصلبة قومية وهي غالباً بشتونية، وتكرس نفسها لإعادة إحياء إمارتها في أفغانستان وطرد القوات الغربية. أحرار الشام تقول بشكل دائم إنها تريد تغيير النظام السياسي في سورية، لا أن تعيد صياغة العالم الإسلامي، رغم أن أحد القادة العمليتين في القاعدة، أبو خالد السوري، من بين مؤسسيها ورغم تنسيقها في

⁸² حول تعاون القاعدة مع المجموعات الطائفية في باكستان، انظر Crisis Group Report, *Pakistan: The Militant Jihadi Challenge*, op. cit.; Moeed Yusuf (ed.), *Pakistan's Counterterrorism Challenge* (Washington DC, 2014); and Khaled Ahmed, *Sectarian War: Pakistan's Links to Sunni-Shia Violence and its Links to the Middle East* (Karachi, 2012).

⁸³ "English Translation of Ayman al-Zawahiri's letter to Abu Musab al-Zarqawi", *The Weekly Standard*, 11 October 2005; and Brian Dodwell, "The Abbottabad Documents: The Quiet Ascent of Adam Gadahn", *CTC Sentinel*, 22 May 2012; and *The Osama Bin Laden Files: Letters and Documents Discovered by SEAL Team Six during their Raid on Bin Laden's Compound*, The Combating Terrorism Center (West Point, 2012).

⁸⁴ Crisis Group Report, *Pakistan: The Militant Jihadi Challenge*, op. cit.; Moeed Yusuf (ed.), *Pakistan's Counterterrorism Challenge* (Washington DC, 2014); and Khaled Ahmed, *Sectarian War: Pakistan's Links to Sunni-Shia Violence and its Links to the Middle East* (Karachi, 2012).

⁸⁵ تقارير مجموعة الأزمات، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة"؛ و "اليمن: هل السلام ممكن؟"، مرجعان سابقان.

⁸⁶ انظر، على سبيل المثال، المجموعة الموجزة لمواد تنظيم الدولة الإسلامية، Aaron Zelin, <http://jihadology.net/2015/11/14/the-islamic-state-on-refugees-leaving-syria>.

ميدان المعركة مع جبهة النصرة.⁸⁷ إنها تتلقى دعماً تركياً صريحاً، ويعلن قادتها استعدادهم للعمل مع الغرب للإطاحة بالأسد. ويبدو أن أنصار الدين، التي تحالفت مع القاعدة في مالي في 2012-2013، وبعض فصائل أنصار الشريعة في ليبيا تتطلع أيضاً إلى الحكم الإسلامي داخل الحدود القائمة.⁸⁸

حتى بين الحركات ذات الأهداف الوطنية، فإن عدداً قليلاً منها يقبل التعددية السياسية أو الدينية. تتطلع قيادة طالبان إلى حكومة تحت سلطة إمارة ذات شرعية دينية. بينما تبدو منفتحة على التسويات – وفي الماضي كان بعض قادتها مستعدين للقبول بأشكال أخرى من الحكومة – فإنها لا زالت تصر على أن أي نظام سياسي جديد ينبغي أن يقوم على نسختها من الشريعة؛ وسيترتب عليها القيام ببعض البهلوانيات الأيديولوجية لتبرير تقاسم السلطة ووجود حكومة قائمة على إرادة الناس.⁸⁹ من جهة أخرى، فإن قادة أحرار الشام اتفقوا منذ أواسط 2014 على الأقل مع مجموعات معارضة سورية مسلحة أخرى على أن السوريين ينبغي أن يحدوا نظام الحكم في البلاد وأن يختاروا قادتها. يبقى هؤلاء سلفيون، ويحددون بشكل غامض، إذا حددوا على الإطلاق، كيفية معرفة الإرادة الشعبية ويتحاشون كلمة "الديمقراطية"، لكنهم يتفقون على المبدأ، وقد هاجمهم أيديولوجيو القاعدة لهذا السبب.⁹⁰

قد يكون تحديد أهداف المجموعات صعباً بالطبع. وقد لا تعكس الرسائل الرسمية مواقف قواعد هذه المنظمات أو حتى قيادتها: بعضها ملتزم بوضوح بمفاهيم راديكالية؛ وشخصيات أخرى تعبر عنها لمسيرة المانحين المقيمين في دول الخليج أو قد تتظاهر بالبراغماتية للحصول على دعم الدول. تُحدد الهويات، إلى حد ما، من خلال الاستراتيجية، والتكتيك ومصادر التمويل والدعم كما تُحدد بالأهداف بعيدة المدى، بالنظر إلى الطبيعة البعيدة في كثير من الأحيان لهذه الأهداف. إلا أن بروز الجهاديين المتزايد في مناطق الحرب وسرعة التحولات التي تطرأ على بعضها تعد أمراً محورياً لمراقبة الأيديولوجيا بين هذه الحركات، وإلى الحد الممكن داخلها أيضاً. ما تريده، خصوصاً فيما يتعلق بنظام الدولة، وانفتاحها على تقاسم السلطة والتسامح حيال الطوائف والمجموعات الدينية الأخرى، له أثر على السياسة. إن أي علامة على التغيير أو إمكانية التأثير فيها أو فصلها طبقاً لهذه الخطوط قد تفتح مسارات جديدة لتقليص التهديد الذي تشكله.

هـ. حكم جهادي متطور؟

لقد أثبتت السيطرة على الأراضي، وهي من بين أبرز القضايا الشائكة لأي حركة ترمد مسلحة، أنها صعبة على نحو خاص بالنسبة للجهاديين. نادراً ما حظي تطبيقهم اللفظ والحرفي للشريعة بالكثير من الدعم. الأهم من ذلك، هو أن معظمهم أثبتوا أنهم حكام غير أكفاء. لكن بالنظر إلى ظروف العنف المفرط أو انهيار الدولة الذي يمكنهم من الاستيلاء على الأراضي، فإن المجتمعات المحلية قد تجددهم أفضل من البدائل المتاحة أو أنه لا يتاح لها الكثير من الخيارات سوى القبول بهم. كما أن بعض الحركات تظهر علامات على تعلم الحكم بوسائل تتجنب تنفير الخاضعين لسيطرتها.

في التاريخ الحديث، لم تتمكن العديد من الحركات الإسلامية الراديكالية من السيطرة على الأراضي قبل عام 2011. طالبان، مع تقدمها أولاً نحو الشمال ومن ثم عند حكمها لمعظم أفغانستان في منتصف تسعينيات القرن العشرين، طبقت في البداية بعض القوانين الأساسية والنظام، إلا أن عاداتها المتزمتة، وسوء إدارتها الاقتصادية، ومحاولاتها المتقطعة لمنع زراعة الخشخاش، والتجنيد الإجباري والفظاعات التي ارتكبت في زمن الحرب سرعان ما نفرت كثيرين، خصوصاً في المدن والبلدات.⁹¹ سوء أداء قادتها تركهم منعزلين بعد هزيمتهم عام 2001 على يد التحالف الشمالي والقوى الأخرى المدعومة من الولايات المتحدة. بالمقابل، فقد كانت إخفاقات الحكومة الجديدة على الأغلب والولايات المتحدة، راعيتها الأساسية، خصوصاً من خلال السماح لوسطاء السلطة المحليين باستغلال حرب الولايات المتحدة على الإرهاب للإساءة للخصوم أو

⁸⁷ <https://abujamajem.wordpress.com/2014/09/05/ahrar-al-shams-abu-yazan-its-our-country-and-our-revolution/>. منذ عام 2014، رفضت أحرار الشام أيضاً التصنيف السلفي الجهادي، المرجع السابق.

⁸⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سياسيين ليبيين وأعضاء في أنصار الشريعة، طرابلس وبنغازي، 2014.

⁸⁹ انظر، على سبيل المثال، Michael Semple, "Rhetoric, Ideology and Organisational Structure of the Taliban Movement", U.S. Institute for Peace, 2014.

⁹⁰ مقابلات واتصالات لمجموعة الأزمات مع مسؤولين حاليين وسابقين في أحرار الشام، اسطنبول، آذار/مارس 2014-كانون الأول/ديسمبر 2015؛ وأيضاً تقرير مجموعة الأزمات، "السيارات المفخخة والبراميل المتفجرة"، مرجع سابق. فيما يتعلق بالهجوم على أحرار الشام من قبل الأيديولوجيين المرتبطين بالقاعدة، انظر مقالات كتبها الشخصية البارزة في جبهة النصرة أبو فراس الشامي على الموقع <http://justpaste.it/abofiras1>, and <http://justpaste.it/abofiras1>.

⁹¹ تقرير مجموعة الأزمات، "محادثات حول المحادثات"، مرجع سابق؛ Crisis Group Report, *Talking About Talks*, op. cit.; and Crisis Group Asia Report N°256, *Afghanistan's Insurgency after the Transition*, 12 May 2014.

تصفيهم، هي التي مكنت طالبان، التي أفضيت عن النظام السياسي الجديد والتي كان قادتها قد اختبأوا عبر الحدود في باكستان، من العودة إلى الظهور كحركة معارضة مسلحة، وأعدت إحياء العلاقات وقدمت الحماية. محاكمها، المتنقلة في كثير من الأحيان، تقدم عدالة سريعة، ومتوقعة وناذرة، وإن كانت قاسية، وتحظى، طبقاً لمعظم الروايات بشعبية معقولة، على الأقل خارج المدن. تعمل إدارة الدولة "الظل" فيها على اتساع معظم المناطق الريفية في أفغانستان، رغم أنها مخصصة للحملات العسكرية أكثر مما هي مخصصة لتقديم الخدمات. في بعض الأماكن، تسمح المجموعات المسلحة لوزارة التعليم والصحة في كابول بالدخول إلى المناطق الواقعة تحت سيطرتها لإدارة المدارس والعيادات، وأحياناً وضع المناهج الدراسية.⁹² وعلى نحو مماثل، فإن حركة الشباب في أوج سيطرتها على الأراضي (2007-2011) كانت متقشفة لكنها فرضت شيئاً من النظام الأولي. رحب بعض القرويين في البداية بالمدارس المخصصة لتعليم القرآن، والخدمات الطبية الأساسية، والأجور الثابتة بشكل معقول على الطرقات، وأيام تسوق آمنة وآليات تسوية نزاعات محلية. كحركة مسلحة، تجمع الشباب حالياً العنف الذي لا يحظى بالشعبية، من جهة، والبراغماتية والبراعة السياسية، من جهة أخرى. إنها تتعامل بقسوة مع المنافسين المحتملين، بينما تتوسط بين العشائر أو تدعم عشائر أضعف ضد الخصوم وتتحاشى الارتباط على نحو أوثق مما ينبغي بأي منها.⁹³ لقد سمحت طالبان والشباب إن لم يكن دائماً ولا بسهولة، للمجموعات التي تقدم المساعدات بالعمل في المناطق التي تسيطر عليها، وهو ما يتطلب الحوار للاتفاق على الشروط.⁹⁴

لا تحظى أي من الحركتين بالشعبية. العديد من القرى عالققة بين الحكم القاسي والعنف وتسلط الرجال الأقوياء المتحالفين مع الحكومة؛ وبالنسبة لكثيرين، فإن البقاء يعتمد على العمل مع الطرف المسيطر محلياً. إلا أن كليهما تقدمان بعض الخدمات العامة وتستغلان المظالم المحلية، والصراعات والعلاقات القبلية والعشائرية لاكتساب الدعم، بينما تلعبان على التوترات داخل القبائل أو العشائر وبين السلطات التقليدية والمهمشين، خصوصاً من الشباب. إنهما تفرضان سلطتهما في الأراضي التي تسيطران عليها من خلال مزيج محسوب من الإكراه والاستمالة.

منذ عام 2011، استولى عدد أكبر من الجهاديين على الأراضي. يصعب تقييم حكم تنظيم الدولة الإسلامية بالنظر إلى شح المعلومات ولأن حكمها يتباين بشكل كبير في العراق وسورية، إلا أنه أكثر تقدماً وتعقيداً من حكم القاعدة في العراق بقيادة الزرقاوي قبل عقد من الزمن. إن العنف الذي يمارسه يرفع من كلفة المعارضة، بينما أقام قادته علاقات أوثق مع شرائح من المجتمع. الأكثر أهمية من ذلك، وعلى عكس أي حركة جهادية سبقته، فإنه يبدو قادراً على إدارة دولة، رغم العقبات التي واجهها مؤخراً. على عكس طالبان والشباب، فقد ورث بنية تحتية تعمل وخدمة مدنية استمالت شرائح من الجهاز البيروقراطي المحلي. في معظم المدن والبلدات، لا يزال نظام الصرف الصحي، وجمع القمامة، والمدارس والعيادات تعمل. قد تكون آلياته في إنفاذ القوانين مفترطة لكن يُذكر أنها ليست فاسدة بعد؛ ويعتمد تأييده للعائلات الداخلية على الابتزاز لكن يبدو ذلك مستداماً. وقد أكد، كغيره من الحركات على التسوية السريعة لنزاعات طويلة الأمد في كثير من الأحيان.⁹⁵

إن تطور آلية حكم القاعدة في شبه الجزيرة العربية في اليمن ملفت للنظر. خلال ثورة عام 2011، استولت على أجزاء من محافظة أبين، بما في ذلك العاصمة زنجبار. استغرق نشر تعزيزات الجيش وقتاً – انقسم الجيش خلال الثورة، ووقفت بعض الفصائل مع المحتجين – لكنها سرعان ما أخرجت المسلحين بدعم محلي. دفع هذا ناصر الوحيشي، زعيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية حينذاك والمدير العام للقاعدة (أي الرجل الثاني فعلياً بعد الظواهري)، لأن يكتب إلى قادة المجموعات المرتبطة بالقاعدة في مناطق أخرى، خصوصاً في مالي، ليشاركهم في تجاربه ويحثهم على زيادة الحساسية للأراء المحلية.⁹⁶

⁹² على سبيل المثال، Nick Walsh, "Taliban tightens grip on Afghan schools", CNN, 22 May 2012.

⁹³ على مدى الشهور الأخيرة، خسرت الشباب مواقع في المناطق التي تحالفت فيها العشائر مع بعضها بعضاً، بما في ذلك مؤخراً في شيبيل الوسطى، فيما يبدو أنه رد فعل على مطالبها الضريبية لضحايا الجفاف في مناطق أخرى من الصومال. إنها تحقق أكبر النجاحات وسط التنافس الصريح بين العشائر أو في المناطق التي تشعر فيها العشائر أن لا سلطة لها. Abdul Khalif and Cedric Barnes, "Why is Al-Shabaab Still a Potent Threat?", Crisis Group blog, 11 February 2016.

⁹⁴ Ashley Jackson, "Negotiating Perceptions: Al-Shabaab and Taliban View of Aid Agencies", Overseas Development Institute, August 2014; also, Crisis Group interviews, aid workers after the Somali famine, January-March 2011; وأيضاً مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع عاملين في مجال المساعدات بعد المجاعة في الصومال، كانون الثاني/يناير – آذار/مارس 2011.

⁹⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع سكان مناطق يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية، تشرين الأول/أكتوبر 2015. Khaled, "Mean but Clean: Extremists Fix Roads, Make Mosul a Nicer Place", *Niqash*, 14 May 2015.

⁹⁶ انظر "First letter", op. cit. حث الوحيشي على تبني موقف براغماتي لتجنب تغيير سكان المناطق التي تم الاستيلاء عليها، وهي نصيحة يبدو أن زعيم القاعدة في المغرب الإسلامي، عبد المالك دروكدل، التزم بها، رغم أن قادته اتبعوها بشكل عشوائي. مرة أخرى، فإن حكمها يتباين في أجزاء مختلفة من البلاد. هي بشكل عام أقل وحشية من بوكو حرام، أو تنظيم الدولة أو حتى الحركة

عندما استولى تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية على أجزاء من محافظة حضرموت، بما في ذلك المُكلا، مع تصاعد الحرب اليمنية في عام 2015، عين مجلساً محلياً يرأسه حكما بارزون، بمن فيهم سلفيون لكن ليسوا من أعضاء القاعدة. ينظر إلى المحاكم الدينية الجديدة من قبل العديد من السكان المحليين على أنها منصفة وسريعة على النقيض من النظام الرسمي الفاسد والبطيء، الذي انهار على كل حال. يتم دفع الرواتب لموظفي الخدمة المدنية، ولم تعان المدينة من الفوضى التي انتشرت في أماكن أخرى، جزئياً لأنها من بين المناطق القليلة التي لم تضربها قنابل التحالف السعودي. نهبت القاعدة في شبه الجزيرة العربية المصارف المحلية، إلا أن المجلس يولد العائدات بشكل أساسي من خلال الضرائب على السلع، خصوصاً الوقود. تستمر شركات الشحن بالاتجار مع المدينة التي تسيطر عليها القاعدة؛ لكن نظراً لتخوفها من الرسو في مينائها، فإنها تقف في المياه الإقليمية وتنقل قوارب أصغر السلع، بما فيها الغاز.⁹⁷

مقاتلو القاعدة في شبه الجزيرة العربية يشعرون السكان المحليين بعدم الارتياح لكنهم قاصوا من الجرائم الصغيرة. يلتقي زعماءها بممثلين عن منظمات المساعدات الغربية لتنسيق عمليات الإغاثة، كما فعل الزعماء الجهاديون في شمال مالي عام 2012.⁹⁸ لقد دمرت عدداً من المقامات والقبور الصوفية في حضرموت لكن تدخلها كان أقل فيما يتعلق بعادات ارتداء اللباس ولم تجبر الناس على الصلاة أو دفع الزكاة. بيع القات محظور، بينما الموسيقى والتلفزيون لم يحظر. كما أن ردها كان مختلفاً على المعارضة في مدينة إلى الشرق تماماً من المُكلا، بعد خروج مظاهرات ضد اغتيال القاعدة في شبه الجزيرة العربية لعلماء دين وسلوك مقاتليها على نقاط التفتيش، اجتمع قائدها مع زعماء المدينة ووافق على سحب معظم رجاله إلى معسكر مجاور.⁹⁹

لم تكرر جميع المجموعات المتطرفة، بالتاكيد، أساليب الحكم المتطور التي أظهرتها القاعدة في شبه الجزيرة العربية وتنظيم الدولة الإسلامية. تزعم بوكو حرام أنها تريد تطبيق الحكم الإسلامي في حوض بحيرة تشاد، لكنها تنهب المناطق التي تستولي عليها في شمال نيجيريا، ولم تنفذ حتى المزيج المستخدم عادة من قبل آخرين والمتمثل في الإكراه والاستمالة، ناهيك عن أي شيء يشبه الشريعة.¹⁰⁰ رغم أن كثيرين في شمال نيجيريا لا يتقنون بالدولة، ويتشاطرون انتقاد بوكو حرام لانتهاكاتها ويتطلعون إلى دور أكبر للإسلام في الحكم، فإن وحشية الحركة في المدن التي استولت عليها، والفوضى التي نشرتها واختطاف فتيات المدارس جرّدها من الدعم الشعبي. تكتيكاتها تشبه تكتيكات جيش الرب للمقاومة أو الميليشيات الأخرى التي ابتليت بها البحيرات العظمى في أفريقيا أكثر مما تشبه المنظمات التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية أو القاعدة.¹⁰¹ الميليشيات المتفرقة المتحالفة بشكل غير وثيق تحت راية طالبان باكستان أداؤها ليس أفضل في المناطق التي تسيطر عليها بشكل منقطع. وأي دعم أولي تحظى به سرعان ما يتبخر أمام قسوتها.¹⁰²

ولا حتى المجموعات الأكثر كفاءة يمكن أن تكون بدائل ذات مصداقية في الدول التي تعمل بشكل معقول. ينبغي أن تكون الظروف مريحة قبل أن تقبل المجتمعات المحلية بها أو تُجبر على القبول بها كي تحافظ على بقائها – ما يظهر مرة أخرى كيف أن الحرب وانهيار الدول هو الذي يوفر بيئة مناسبة يزدهر فيها الجهاديون. لكن عندما يتطور نظام حكمهم، فإن من الواضح أن لذلك مضامين فيما يتعلق بالسياسات. لقد كان من الشائع أن يحظى المتطرفون ببعض الدعم الأولي وذلك بفرض شكل أساسي من القانون والنظام – خصوصاً تسوية النزاعات بشكل قابل للتوقع والإنفاذ – لكن ذلك سرعان ما يتبدد عندما يصبح العنف الذي يمارسونه اعتبارياً وعقوباتهم مبالغاً بها، حيث يحظرون الموسيقى ويمكنون المجرمين، وتنتهار الخدمات وتتراكم النفايات. هل سيستمر ذلك النموذج؟ هل يمكن احتواء المجموعات جغرافياً مع توقع أن يثور السكان عليها بمرور الوقت

التي انشقت عن القاعدة في المغرب الإسلامي، حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا، لكنها رغم ذلك قاسية، وفرضت عمليات حظر لا تحظى بالشعبية للموسيقى والتدخين، واستخدام العقاب البدني وهدم المقامات الصوفية والأوابد الثقافية. رغم ذلك، فإن عدداً كبيراً من التقارير يشير إلى أن بعض القرويين رحبوا بالقاعدة في المغرب الإسلامي وإلى درجة ما بقدره حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا على فرض أليتها في تسوية النزاعات والصراعات. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو سابق في حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا، بامكو، حزيران/يونيو 2015؛ وأيضاً مع عدد من السكان، غاو، آب/أغسطس 2013.

⁹⁷ ملاحظات ومقابلات لمجموعة الأزمات، المُكلا، تشرين الأول/أكتوبر 2015.

⁹⁸ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع ممثلين عن منظمات إنسانية، تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

⁹⁹ ملاحظات ومقابلات لمجموعة الأزمات، المُكلا، تشرين الأول/أكتوبر 2015.

¹⁰⁰ تقرير مجموعة الأزمات، Alex Thurston، “The Crisis Group Report, *Boko Haram*, op. cit. انظر أيضاً “The Disease is Unbelief”: Boko Haram’s Religious and Political Worldview”, The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World Analysis Paper, no. 22, January 2016.

¹⁰¹ EJ Hogendoorn، “Boko Haram’s Evolution: How it got this far and how to stop it”, Open Canada, 21 October 2015.

¹⁰² Crisis Group Report, *Pakistan: Countering Militancy in PATA*, op. cit. Also Abubakr Siddique، *The Pashtun Question: The Unresolved Key to the Future of Afghanistan and Pakistan* (London, 2014).

أو يؤيدون الإطاحة بها؟ أم ستسيطر على الأراضي وتقدم الخدمات بطريقة تعمق علاقاتها بالمجتمعات المحلية، وتدفع قدماً لتنفيذ أجندياتها وتوفر ملاذاً آمناً يتم شن الهجمات منه؟

لا زال من المبكر جداً التنبؤ بذلك، لكن حركات مماثلة تحتفظ بالأرض الآن أكثر من أي وقت مضى، والعديد من الأزمات التي تسمح لها بفعل ذلك لا تظهر علامات تذكر على التراجع، وبعضها يتعلم معايرة المقاربات التي يستعملها حيال الأشخاص الذين تحكمهم.

IV. عكس الموجة الرابعة

إن اتساع وصول تنظيم الدولة الإسلامية والمجموعات المرتبطة بالقاعدة بشكل مازق شائكة بالنسبة للسياسات، خصوصاً عندما تسيطر هذه المجموعات على أراضٍ، ولكن أيضاً في الأماكن التي تواجه مخاطرة متزايدة من الهجمات الإرهابية. على زعماء العالم الذين يصعدون خطابهم ضد تنظيم الدولة الإسلامية أن يتعلموا من الأخطاء، بينما يضاعفون الجهود لفهم الديناميكيات المتغيرة.

العديد من السياسيين الغربيين يبالغون في حجم التهديد. وهذا مفهوم إلى حد ما؛ حيث إن الهجمات الجهادية تستهدف مواطنيهم. لكن حتى تنظيم الدولة الإسلامية لا يشكل خطراً رئيسياً، ناهيك عن تشكيله لخطر وجودي. إضافة إلى البؤس الإنساني الذي يسببه أصلاً، فإن الخطر الأكبر يتمثل في أن العنف الذي يمارسه يؤثر ردود فعل تتمثل في رهاب الأجانب، وتقليص الحريات المدنية، والأعمال الشرطية الانتقائية في الداخل أو المغامرات العسكرية في الخارج – ما يفاقم من الظروف التي مكنت أصلاً من ظهوره، وإتاحة فرص جديدة له في العالم الإسلامي وتسهيل تجنيده للأفراد في الغرب.

لكن على مدى السنوات القليلة الماضية، أصبحت الحركات الجهادية أكثر قوة من أي وقت مضى. إن الأدوات المستخدمة في مواجهة الإرهاب – التصنيف كمنظمات إرهابية، والعقوبات المالية، وحظر السفر، وعمليات القتل المستهدف وعمليات القوات الخاصة، على سبيل المثال – غير كافية ضد حركات تسيطر على مدن، وبلدات وخطوط إمداد، وتقدم منافع عامة، وتولد العائدات داخلياً ولديها عشرات الآلاف من المقاتلين. أيديولوجيات وتطلعات بعض قادتها يعقد الانخراط معهم سياسياً، لكن ليس هناك سابقة حديثة تذكر في إلحاق الهزيمة بحركة معارضة مسلحة عميقة الجذور من خلال الوسائل العسكرية وحدها. مقارنة سريلانكا للتأمل، على سبيل المثال، حتى بصرف النظر عن انتهاكاتها لقانون الحرب والكلفة البشرية المرعبة، لن تنجح في جزء كبير من الحزام الممتد من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا، بالنظر إلى قابلية الحدود للاختراق، وطبيعة الحروب بالوكالة ووجود دول منهار أو لم تعد تسيطر عليها على أراضيها. وعلى نحو مماثل، فإن تكرار تكتيكات الأرض المحروقة التي اتبعتها روسيا في الشيشان في سورية سيؤدي على الأرجح إلى المزيد من رص الصفوف في تنظيم الدولة الإسلامية بدلاً من هزيمته؛ وفي كل الأحوال، فإن الضربات الجوية الروسية استهدفت بشكل رئيسي مجموعات المعارضة المسلحة الأخرى، وليس تنظيم الدولة الإسلامية. في مناطق أخرى، أدت المكاسب العسكرية إلى نقل موقع المشكلة وحسب.¹⁰³

لكن ما يجعل الموجة الرابعة خطيرة جداً ليس قوة المجموعات بقدر ما هي الاضطرابات الجيوسياسية التي تستفيد هذه المجموعات منها.¹⁰⁴ أولاً، إن عكس مكاسب الجهاديين بشكل حاسم يتطلب في كثير من الأحيان إنهاء الحروب التي يقاتلون فيها. في اليمن، دون اتفاقية سلام بين الحوثيين والموالين للرئيس السابق صالح من جهة والقوى العاملة مع التحالف الذي تقوده السعودية من جهة أخرى، فإن احتمالات إخراج القاعدة من الأراضي التي تسيطر عليها احتمالات قائمة. كلما تمكنت من فرض ما يشبه النظام وسط الفوضى، كلما أصبحت أقوى. حتى مع التوصل إلى اتفاقية سلام، فإنها قد تكون عمقت علاقاتها المحلية وأنهكت قوات الأمن اليمنية إلى درجة أنها ستصارع فعلاً لإخراج الجهاديين العنيفين كما فعلت في عام 2012. اتفاقية السلام ستحدث تصدعات في التحالف المعادي للحوثيين الذي تشكل القاعدة في شبه الجزيرة العربية جزءاً منه، رغم أن الأثر النهائي لذلك على الحركة سيبقى غير واضح؛ حيث يمكنها ببساطة أن تغير تحالفاتها وتنتقل إلى المرحلة التالية من الحرب.

وعلى نحو مماثل، فإن عكس مكاسب الجهاديين في ليبيا سيعتمد على تسوية الخصومات بين قوى محلية أخرى وإقناعها بالتعاون ضد تنظيم الدولة الإسلامية. وسيعتمد ذلك أيضاً على منح المناطق المرتبطة بنظام القذافي، وهي الأكثر هشاشة وعرضة لتجنيد سكانها في تنظيم الدولة الإسلامية، موقعاً أقوى في النسيج الوطني وربما فرصاً للدفاع عن نفسها أيضاً.¹⁰⁵ يمكن لعمليات القصف أن تعيق عمليات تنظيم الدولة الإسلامية، خصوصاً قرب المنشآت النفطية، وتبيد أصولها المادية؛ في ليبيا يمكن لهذه الضربات أن تكون منطقية. لكن طالما استمرت الخصومات بين أعدائها، فإنها ستستمر في السيطرة على المنطقة المحيطة بسببها وقد تتوسع شرقاً. إذا قررت الولايات المتحدة وآخرون – وسيكونون مخطئين – المضي قدماً في

¹⁰³ أدت العمليات ضد بوكو حرام، على سبيل المثال، إلى نشر مقاتلين على طول الحدود. ودفعت حملة الجزائر ضد بقايا القاعدة في المغرب الإسلامي، التي أصبحت القاعدة في المغرب الإسلامي، المسلحين إلى منطقة الساحل؛ ويبدو أن العمليات الفرنسية أدت إلى انتقال العديد من المسلحين إلى ليبيا. كما أدى إخراج الولايات المتحدة لطالبان إلى انتقال قادتها وعدد كبير من القيادات العليا للقاعدة إلى باكستان. أما العمليات الروسية في شمال القوقاز فقد دفعت العديد من الجهاديين جزئياً إلى الذهاب إلى بلاد الشام.

¹⁰⁴ انظر أيضاً، Darryl Li, "A Jihadist Anti-Primer", Middle East Research and Information Project 276, Fall 2015.

¹⁰⁵ حول طريقة القيام بذلك، انظر، Issandr El Amrani, "How much of Libya does the Islamic State control?", *Foreign Policy* (online), 18 February 2016.

عمليات قصف أكبر، يستحسن أن يفعلوا ذلك دون مطالبة حكومة الوحدة الوطنية الوليدة والإشكالية بالدعوة إلى القيام بعمل عسكري أجنبي أو إقراره، رغم العقوبات القانونية التي سيسكلها ذلك، خشية أن يؤدي إلى تقليص مصداقيتها إلى درجة أكبر. كما يمكن فعل المزيد للانخراط مع اللاعبين الأمنيين الليبيين المتعددين – وتشجيع التواصل فيما بينهم – سواء لبناء الدعم للعملية السياسية أو للعثور على شركاء محتملين ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

"ستكون أفضل بداية ضد تنظيم الدولة الإسلامية التوصل إلى صفقة كبرى تعيد عقارب الخصومة الإيرانية – السعودية التي تشكل القوة الدافعة للطرف الشيعي والسني في سائر أنحاء المنطقة إلى الوراء."

ثانياً، رغم أن المجموعات الصغيرة تستفيد من حربي ليبيا واليمن، فإن تنظيم الدولة الإسلامية يستفيد في العراق وسورية من المواجهات الإقليمية لأعدائه. ستمثل أفضل نقطة بداية ضد التنظيم التوصل إلى صفقة كبرى لإعادة عقارب الخصومة الإيرانية – السعودية التي تعد الدافع الرئيسي للطرف السني والشيعي، والعقبة الرئيسية لإنهاء الأزمات في سائر أنحاء المنطقة وتشكل تهديداً أكبر لاستقرار العالمي من الجهاديين، إلى الوراء. تبدو الاحتمالات قاتمة، إلا أن الحث على التوصل إلى تهدئة ينبغي أن يكون أولوية حيوية في أهمية محاربة تنظيم الدولة الإسلامية. دون التوصل إلى تلك الصفقة، ثمة مخاطرة في تنامي المواجهات، مع كون سورية في مركزها ووصف كلا الطرفين للعنف بأنه محاربة للإرهاب، بشكل يضع محور إيران-بغداد-دمشق-حزب الله، مع انضمام روسيا بشكل انتهازى إلى هذا المحور، ضد القوى السنية في الغالب في التحالف السعودي الجديد، المدعوم بشكل غير مريح من قبل الغرب. كما ينبغي مضاعفة الجهود لتضييق خطوط التصدع التي توفر مجالاً للجهاديين - بين، على سبيل المثال، الأنظمة العربية المحافظة والإخوان المسلمين، وتركيا والمجموعات المسلحة الكردية، والأمن تركيا وروسيا والهند وباكستان – حتى لو بدت المصالحة بعيدة المنال.

ثالثاً، هناك طبيعة العديد من الدول المتأثرة. لقد ملأت أكبر هذه الحركات الفراغات التي تركها انهيار الدولة في العراق، وليبيا، والصومال، وسورية واليمن، وإلى حد ما، أفغانستان. يزدهر الجهاديون أيضاً في مناطق من دول أكثر قدرة مثل مصر، ومالي، وباكستان، وروسيا وتلك المحيطة بحوض بحيرة تشاد حيث كانت سيطرة الدولة تقليدياً محدودة. في العديد من الدول الهشة وتلك المنخرطة في حرب، فإن سلوك الحكومة يشكل مصدراً رئيسياً للمظالم التي تولد الدعم للحركات الجهادية أو تثير الأزمات التي تستفيد منها. ينبغي أن توفر الدول المقتردة والقادرة على الصمود الأساس للجهود المبدولة ضد التطرف. إلا أن احتمالات التعافي، والإصلاح والتجدد، خصوصاً في العالم العربي، احتمالات قاتمة. ليس هناك بالكاد ما يشير إلى أن الحكومات المسؤولة بشكل كبير عن الموجة الرابعة مستعدة للتكيف بالطرق الضرورية لمواجهتها.

رابعاً، ينظر القادة في العديد من البلدان الأكثر تأثراً ببساطة إلى التهديد بشكل مختلف عن نظرائهم الغربيين. البعض، كما تم وصفه أعلاه، يركزون أكثر على التنافس الإقليمي أو قد يخشون من أن العمل ضد الجهاديين سيغضب المؤسسات الدينية. آخرون يرون في حركات المعارضة تهديدات أكثر خطورة لحكمهم أو يرون في الجهاديين أدوات مفيدة يستخدمونها مع الغرب وذريعة لقمع خصومهم الآخرين.¹⁰⁶ إن اختلاف الأطراف التي يستهدفها الجهاديون – القوى الغربية، والأنظمة المحلية والشيعية – يعني أن الحكومات في المناطق المتأثرة تواجه مآزق تختلف عن تلك التي تواجه القوى الغربية، المهتدة في معظم الأحيان من بعيد: يمكن لعمليات القمع أن تكون بمثابة إثارة عش دبابير، وتحويل غضب الجهاديين من القوى الأجنبية إلى الداخل وزيادة حدة الإرهاب المحلي. بعض الدول، وخصوصاً باكستان، كانت حساباتها خاطئة في محاولة تحقيق هذا التوازن، وهو خطأ قد تكون تركيا ارتكبه في سورية. غير أن الحوافز المتناقضة تعني أن التحالفات في مواجهة الجهاديين تكون غير وثيقة، حيث تركز الولايات المتحدة وأوروبا على التهديد الذي يواجهه الغرب، وفي الوقت الذي يمكن أن يكون ذلك مفهوماً، فإن له أثر مشوه على المستوى المحلي.

ليس هناك، بالطبع، حل واحد. إن تنوع المجموعات والحروب التي تنخرط فيها تعني أن أي مقارنة ينبغي أن توضع لكل حالة على حدة، مع وجود تشخيص دقيق لقوة الحركة المعنية، وأهدافها وعلاقتها مع

¹⁰⁶ الرئيس اليمني السابق صالح، على سبيل المثال، استمال المجاهدين العائدين من أفغانستان في صراعه على السلطة في الجنوب في اليمن حديث التوحيد. ثم أعطى مناصب حكومية لبعضهم، بينما همش آخرين، رغم استمراره بالمحافظة على العلاقات معهم من خلال أجهزة المخابرات. طوال العقدين الأخيرين من حكمه، استخدم التهديد الجهادي للحصول على الدعم العربي، حيث تلقى التدريب والأسلحة لمحاربة القاعدة. رغم عمليات القمع المتفرقة، وعادة بضغط من الولايات المتحدة – خصوصاً بعد الهجوم على السفينة الحربية الأمريكية USS COLE في ميناء عدن (2000) وهجمات 11 أيلول/سبتمبر العام التالي – فإن تعامله مع الراديكاليين السنة، والقاعدة بشكل خاص، كانت موجهة بمقاربة فرق تسد التي يتبناها في السياسة بشكل عام.

المجتمعات المحلية، ومطالب تلك المجتمعات، وحوافز الحكومات، والجيش والقوى الخارجية وما إذا كان هناك قوة ذات مصداقية يمكن أن تتصرف دون جعل الأمور أسوأ ودون أن يتشتت اهتمامها بوجود الخصوم.

تختلف الخيارات المستخدمة ضد مجموعات مثل تلك التي استولت على شمال مالي، على سبيل المثال - والتي تمتعت بدعم محدود في البداية، وهربت عندما تمت مواجهتها بقوة جديبة والتي يبدو أن لبعضها أهدافاً عابرة للأوطان - تختلف عن تلك المستخدمة ضد طالبان الأفغانية، المتجذرة في مناطق البشتون الداخلية، والقومية إلى درجة كبيرة، والتي تتمتع على الأقل بدعم استخباراتي وبملاذات آمنة في باكستان وتمكنت من مواجهة قوات أمريكية تجاوز قوامها الآن 100,000 جندي. يتطلب التعامل مع بوكو حرام التي لا تحظى بالشعبية، والتي يمكنها أن تختبئ في الصحراء الواسعة والأدغال المحيطة ببحيرة تشاد لكن التي تتوحد ضدها الحكومات الإقليمية بشكل معقول الآن، استراتيجية مختلفة جداً عن تلك التي يمكن استخدامها في ليبيا ضد المجموعات المسلحة في بنغازي ودرنة التي تعتبرها كتائب ثورية أخرى حليفة لها وينظر إليها العديد من السكان على أنها مجموعات من الشباب الطائش أكثر منهم متطرفين ملتزمين. يعد فهم الديناميكيات المحلية أمراً محورياً. ينبغي التعامل مع كل حركة بشكل فردي، وليس كظاهرة عالمية.

بعد ما قيل، فإن العديد منها بشكل معضلات مشابهة. أولاً، فيما يتعلق باستخدام القوة في المناطق التي استولى فيها الجهاديون على الأرض، هل يشكل العمل العسكري لإخراجهم منها تصرفاً منطقيًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف وبواسطة من؟ والأمر الأكثر أهمية، ما هو نوع الإدارة المحلية التي تحل محلهم؟ ثانياً، هل تساعد عمليات القتل التي تستهدف قيادات هذه المجموعات في تقليص التهديد، سواء محلياً أو للعرب؟ ثالثاً، ما هي عمليات الانخراط القابلة للتحقق، وما هي الأهداف التي ينبغي أن تحققها وما هي المخاطر التي تترتب عليها؟ وأخيراً، ونظراً لأن قدرة الجهاديين على الاستفادة من الحروب وانهايار الدول يضيف درجة جديدة من الإلحاح على الجهود لمنع الأزمات التي يمكن أن تشكل فرصاً بالنسبة لهم، ما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه الأجندة الجديدة في مواجهة التطرف العنيف في تعزيز صمود الدول؟

أ. استخدام أكثر استراتيجية للقوة

1. ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام

يستند جزء من جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية إلى الزخم الذي تحققه، وقدرته، حسب تعبيره، بأن "يبقى ويتمدد"، وتصوير نفسه على أنه تنكب عباءة القيادة السنية في المنطقة. كلما استمر في السيطرة على أجزاء من العراق وسورية، كلما ظلت هالة قوته وعدم إمكانية هزيمته وجاذبيته أقوى وبالتالي فإن إخراجها من هذه المناطق وحشره في موقع دفاعي يعد أولوية.

غير أن تنظيم الدولة الإسلامية يزدهر وسط الفوضى. تتكون روايته من خيوط محبوكة لتقدمه المستمر ونزعة في التفكير تستحضر نهاية العالم وتتصور معركة أخيرة ونهائية مع القوى الغربية. الأكثر أهمية هو أنه نتاج معاناة السنة، وفي العراق، صراعهم بعد الإطاحة بصادم حسين، لتشكيل هوية سياسية جديدة. إن استعادة الأرض أمر حيوي، لكن فعل ذلك على حساب المزيد من تهيش السنة - الذين كانوا قد خسروها أيضاً في أعقاب غزو العراق عام 2003 ومن ثم خلال خيانتهم من قبل الصحوات - سيحدث أثراً عكسياً. إن النقطة المحورية في أي مقارنة يمكن أن تصوغ أي استخدام للقوة ينبغي أن تكون استراتيجية سياسية لاستئصال المجتمعات المحلية التي يعمل تنظيم الدولة الإسلامية من داخلها.

القنابل وحدها لن تنجز العمل. إن تعطيل قدرة تنظيم الدولة الإسلامية على تقديم الخدمات يخطر بالحق الضرر بالمجتمعات المحلية بقدر ما يلحقه بالجهاديين؛ ويظهر التاريخ أن المجتمعات المتأثرة تنزع إلى الالتفاف حول مضطهديها المحليين ضد المهاجمين الخارجيين. لم يكن لقصف الرقة بعد هجمات باريس أي قيمة استراتيجية. إن تسوية المباني بالأرض وإخراج أعداد إضافية من السكان من منازلهم يخطر بأن يصب في مصلحة المتطرفين بقدر ما يضعفهم. تكون الضربات الجوية فعالة، حتى لو تم تكثيفها، فقط إذا أدت إلى تعزيز قوة الحلفاء على الأرض، وهو ما يطرح السؤال حول هوية القوى التي يمكنها قيادة الهجمات.

حتى عندما كانت الولايات المتحدة منتشرة في العراق بأعداد كبيرة - حيث وصل عدد جنودها خلال الحشد إلى 160,000 - كانت فعالة ضد تنظيم الدولة الإسلامية فقط بالشراسة مع القوى المحلية. خلال الصحوات، دعمت الولايات المتحدة مجموعات "أبناء العراق" القبلية بإعطاء هيكلية منتظمة لتشكيلاتها، وتقديم تدريب أولي، وتعزيز قوتها عند الضرورة، ودفع الرواتب والتدخل لدى الدولة العراقية.¹⁰⁷

سيكون تكرر ذلك صعباً اليوم، لعدة أسباب. حتى الصقور في الولايات المتحدة ليس لديهم شهية كبيرة لإعادة نشر القوات الأمريكية بأعداد كبيرة ولأسباب مقنعة. إن نشر أعداد كبيرة من القوات البرية الغربية (أو الروسية) سيعزز رواية تنظيم الدولة الإسلامية بوجود قوى صليبية كافرة، ما سيسرع التحاق المقاتلين به، أجنبياً ومحليين، وسيعزز روايته بقرب نهاية العالم. حتى نشر قوات غربية محدودة، كما ينصح البعض – يصل عدد القوات المقترحة إلى 25,000، بما في ذلك المستشارين العسكريين، والقوات الخاصة والقوات الردع السريع – لدعم العناصر المحلية والإقليمية سيشكل مخاطر كبيرة مقابل عائد غير مؤكد.¹⁰⁸ إن الانخراط الروسي في سورية يعني المخاطرة بحدوث تصعيد عالمي؛ حتى عند إزالة هذا الخطر، ليس لدى الولايات المتحدة دولة حليفة تعمل معها في سورية وستخاطر بالانجرار إلى محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، والقاعدة، وقوات المعارضة المسلحة والقوات الموالية للنظام.

في العراق، لا يتوجب على الولايات المتحدة القلق كثيراً من المشاركة الروسية، إلا أن إيران والسياسات الشيعية في بغداد يمكن أن تشكل مخاطرة ليست أقل جسامة. حتى خلال احتلالها الذي دام ثماني سنوات، فشلت الولايات المتحدة في تحويل النجاح العسكري النهائي للصحوات إلى نجاح سياسي من خلال التوسط في اتفاقية بين حلفائها السنة والدولة العراقية – وكان ذلك عندما كان لديها عدد من القوات البرية على الأرض أكثر مما يتصوره أحد اليوم، وكان نفوذ إيران أضعف، وكانت الميليشيات الشيعية أقل نشاطاً.

إن حشد القوى المحلية والإقليمية وتقديم الدعم لها من قبل الولايات المتحدة يشكل تحدياً أيضاً. لقد قامت مجموعات المعارضة المسلحة وحلفاؤها من القاعدة بالجزء الأكبر من القتال ضد تنظيم الدولة الإسلامية، حيث صدتها عن الشمال الغربي، لكنها لا تستطيع أن تقاها في الشرق بينما تواجه النظام وتتعرض لقصف الغارات الجوية الروسية. طالما ظلت الحرب بين النظام والمعارضة المسلحة قائمة، فإن تدريب هذه المعارضة لقتال الجهاديين وحدهم غير مجدٍ، كما تبين من النتائج المزرية التي حققتها محاولات الولايات المتحدة فعل ذلك في وقت كانت فيه آفاق المعارضة المسلحة أقل قتامة مما هي اليوم.¹⁰⁹ في العراق، الميليشيات الكردية والشيعية هي الأكثر قدرة، لكن أباً منها لا يبدو حريصاً على القتال من أجل المناطق السنية أو يتمتع بالدعم المحلي هناك. على العكس من ذلك، فإن مشاركتها ستفاقم التوترات مع المجتمعات المحلية، مما سيدفعها أكثر إلى أحضان تنظيم الدولة الإسلامية. ويصح الشيء ذاته بالنسبة لقوات الحماية الشعبية الكردية في سورية. إن تسليح الميليشيات سيؤدي إلى مزيد من الترددي في مكانة الدولة العراقية.

الأكثر أهمية من كل ذلك هو أنه في حين أن بغداد والولايات المتحدة حشدت حلفاء سنة ضد تنظيم الدولة الإسلامية، فإن احتمال ظهور انتفاضة كالصحوات يبدو بعيداً. انضمت القبائل إلى القتال ضد القاعدة في العراق فقط بعد أن اقتنعت بأن الولايات المتحدة ستكون حليفاً يمكن الاعتماد عليه. وتجربتها المريرة في أعقاب ذلك تعني أن أي قوة أجنبية ستواجه تحدياً كبيراً في كسب ثقافتها. لقد عززت معاناتها على أيدي بغداد واختراق تنظيم الدولة الإسلامية للهيكليات الاجتماعية المحلية وسحقه لخصومه من اعتقاد السكان المحليين بأن الجهاديين سيستمررون بالوجود بعد مغادرة القوات الأجنبية في النهاية ولوقت طويل. ما لم تلتزم الدول الغربية بإرسال جنودها ولأمد غير محدود وعلى مستويات أعلى بكثير مما يبدو ممكناً، سيكون من الصعب استعادة الحلفاء السابقين.

نظراً إلى أن احتمال حدوث غزو جديد من قبل الولايات المتحدة غير موجود على الطاولة، فإن الحملة ضد تنظيم الدولة الإسلامية تمت على نطاق أكثر محدودية. لقد اشتملت الهجمات الأخيرة على تحذيرات للمدنيين بضرورة مغادرتهم المدن وشن غارات جوية كبيرة لإخراج المسلحين، تتبعها الحكومة العراقية، بالتعاون مع قوات شبه حكومية، والدفع بوحدات صغيرة مبعثرة – بما في ذلك قوات مكافحة الإرهاب، وقوات سنية محلية وقوات شرطة اتحادية وقوات كردية – لاستعادة الأراضي. الزعماء السياسيون السنة السابقون، الذين حل تنظيم الدولة الإسلامية محلهم، ينتظرون نهاية القتال في بغداد ومناطق أخرى، على أمل استعادة شرعيتهم وإعادة ترسيخ سلطتهم بإعادة بناء البنية التحتية التي يدمرها الهجوم على تنظيم الدولة الإسلامية. الحكومة العراقية، بدعم من الولايات المتحدة والسعودية وتركيا، تدفع نحو اللامركزية، مع وجود حيب ذو أغلبية

¹⁰⁸ السيناتوران الأمريكيان جون ماكين ولندي غراهام، بين آخرين، يدعوان إلى نشر قوات برية أمريكية في سورية. قدرت كمبرلي وفريدريك كيغن وجيسكا د. لويس احتياجات المرحلة الأولى فقط بـ 25,000. “U.S. senators call for 20,000 troops in Syria and Iraq”, Reuters, 29 November 2015. Kimberly Kagan, Fredrick Kagan and Jessica D. Lewis estimated the needs of a first phase alone at 25,000. “A Strategy to Defeat the Islamic State”, Institute for the Study of War, September 2014, goo.gl/aSi6EP

¹⁰⁹ العديد ممن تدريبوا وبكلفة عالية سرعان ما تم أسرهم أو قتلهم من قبل النصرة ومصادرة أسلحتهم. Noah Bonsey, “Turkey and the U.S. in Syria: Time for Some Hard Choices”, Crisis Group blog, 10 August 2015

سنية في محافظة الأنبار ويمتد إلى الموصل، حيث يمكن لدول الخليج وتركيا أن تدعم القيادة السنية المحلية وتساعد في تمويل إعادة الإعمار.¹¹⁰

من غير المرجح أن تنجح هذه الاستراتيجية. إيران، وإلى حد ما، روسيا تعارضان أي نقل للسلطات من شأنه أن يمكن السنة. سيترتب تعريف اللا مركزية على أساس إداري لا طائفي وأن يطبق على جميع المحافظات والمناطق، وليس فقط على المناطق السنية، لمواجهة المقاومة الإيرانية، وتوفير المرونة للمحافظات الأخرى التي تقاوم سيطرة بغداد المحكمة عليها، ويؤمل أن يبدأ ذلك بعكس المنطق الطائفي للحكومة العراقية.¹¹¹

الأمر الأكثر أهمية هو أن استراتيجية مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، والتي تتعلق بشكل أساسي باليات الحكم، لا تعالج بحد ذاتها مشاكل الطائفة السنية الاجتماعية والأخلاقية وتهميشها، وهي ما يتغذى عليها تنظيم الدولة الإسلامية. إن تجديد هيكلية الحكم لن تمنحها بالضرورة محتوى. العامل الجوهري في إعادة انخراط السنة على نطاق واسع يتمثل في تضيق الفجوة بين القيادة السنية وقواعدها، خصوصاً الشباب. ويصح هذا بشكل خاص من أجل فصل مؤيدي تنظيم الدولة الإسلامية غير الأيديولوجيين عن نواته الصلبة ذات الدوافع الأيديولوجية، والتي لن تختفي حتى وإن تم إخراجها من المدن. إن الدمار الهائل ودعم زعماء فقدوا مصداقيتهم إلى درجة كبيرة بعد تخليهم عن المناطق السنية بعد الصحوات سيشكل قاعدة ضعيفة لبناء مشروع سياسي سني.

إن محاولة تكرار ما حدث عند استعادة مدينتي تكريت والرمادي في محافظة الأنبار في عام 2015، والذي دمر المدينتين باسم إنقاذهما، في الموصل سيكون أكثر خطورة بكثير. إن الطبيعة السنية للأنبار ليست موضع نزاع، لكن المنافسة الإقليمية الطويلة على مدينة الموصل المتعددة عرقياً وذات الموقع الاستراتيجي سيعقد تحقيق الاستقرار في المدينة في أعقاب أي حملة، والتي ستكون بحد ذاتها أكثر تعقيداً من أي حملات سابقة ضد تنظيم الدولة الإسلامية. إن تركيا، والحكومة العراقية، وإيران والمليشيات الشيعية، والأكراد (بما في ذلك الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب العمال الكردستاني، غير المتفقان هما أيضاً) جميعهم مصممون على تأمين مصالحهم، وربما الأكثر أهمية، حرمان خصومهم من فعل الشيء نفسه.

ما هو البديل إذاً؟ إذا كان من غير الممكن استعادة الأراضي بشكل مفيد أيضاً بسبب صعوبة استمالة السكان وتوفير الظروف التي تمكن السنة من بناء أجندة سياسية قابلة للحياة، فإن الرهان الأفضل هو الصبر والاحتواء، ومنع تقدم تنظيم الدولة الإسلامية، وتجنب الأفعال التي تكون نتائجها لمصلحته، ومضاعفة الجهود لوقف تمويله – رغم صعوبة ذلك بالنظر إلى أن هذا التمويل يأتي الآن من الضرائب والابتزاز – والإجراءات الأخرى لتقويض علاقاته مع الخاضعين لسيطرته.

هذا لا يعني ترك أولئك الخاضعين لحكم تنظيم الدولة الإسلامية لمصيرهم، إلا أن إبطاء إيقاع المعركة لمنح الاستراتيجية السياسية فرصة لتحقيق التقدم والسماح بدرجة أكبر من التواصل قبل شن الهجمات. يمكن أن تكون الخطوة الأولى الجوهريّة هي اكتساب ثقة المجتمعات المحلية، كما فعلت الصحوات بشكل بطيء ومنهجي، وعدم تأجيل ذلك. ويبدأ هذا بقصر حملة القصف على الأهداف الحيوية والتهديدات الوشيكة، ومنع توسع تنظيم الدولة الإسلامية، وحشره بكل طريقة ممكنة بحيث يفقد الهالة التي اكتسبها بأنه لا يمكن هزيمته والتي أفتعت المجتمعات المحلية بالتعاون معه واجتذاب مجندين جدد من سائر أنحاء العالم. إن الظروف مختلفة بالطبع عما كانت عليه قبل عقد من الزمان، عندما غير أبناء العراق ولأهم؛ حيث إن تنظيم الدولة الإسلامية أكثر قوة من القاعدة في العراق؛ والحكومة العراقية أقل رغبة بالاستجابة للتطلعات السنية؛ ولا تستطيع الولايات المتحدة تقديم نفس الدعم العسكري ولا جسور الفجوات مع الحكومة؛ وبات للاعبين آخرين، مثل المليشيات الكردية والشيعية، وجود أكبر وقدرة أكبر على الدفاع عن مصالحهم. إلا أن المبدأ ينبغي أن يكون هو نفسه: ثقة السكان أكثر أهمية من الأرض.

سيكون الاحتواء، أو إبطاء إيقاع الحملة، بالطبع، مقامرة كبيرة، بالنظر إلى قدرة تنظيم الدولة الإسلامية على التعطيل والمهاجمة في مكان آخر، في الغرب، لكن أولاً وقبل كل شيء في البلدان الإسلامية. سينطوي ذلك على مخاطر مثل إما أن تضطلع إيران بالقيادة في محاربهته وتعمل ذلك بطريقة تحدث أثراً عكسياً، أو يستمر تنظيم الدولة الإسلامية ويصبح حكمه طبيعياً. وثمة تكاليف سياسية، بما فيها تكاليف محلية تتمثل في أن تدفع الولايات المتحدة وبلدان أخرى ثمن النظر إليها من قبل بلدان أخرى على أنها غير حاسمة أو غير قادرة،

¹¹⁰ "ستدعم الولايات المتحدة بشكل كامل الخطة التي أقرها مجلس الوزراء [العراقي] في 19 أيار/مايو لتحرير الأنبار، وكذلك أولوية الحكومة العراقية في التوجه نحو اللامركزية لتمكين المجتمعات المحلية طبقاً للدستور العراقي. هذا الجهد الموجه نحو إقامة 'فيدرالية وظيفية' الذي تسعى إليه الحكومة العراقية جزء لا يتجزأ من ضمان أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام – حالما تتم هزيمته – لن يتمكن من العودة إلى التراب العراقي". تصريح للناطق باسم البيت الأبيض حول "الخطوات الإضافية التي تتخذها الولايات المتحدة في الجهد الرامي لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام"، 10 حزيران/يونيو 2015.

¹¹¹ الانقسامات داخل الأحزاب الشيعية والكردية وفقدانها للدعم بين قواعدها الشعبية يمكن أن تؤدي إلى مزيد من الانقسامات لكن يمكن أن تساعد أيضاً على كسر السياسات القائمة على أساس طائفي وفرض تشكيل تحالفات عبر الطوائف.

حتى لو كان ضبط النفس هو الأمر المنطقي. إلا أن السجل في العراق وفي المنطقة بشكل عام يقدم أدلة مقنعة على أنه دون استراتيجية تشمل الإقناع، ووجود بديل سياسي مقبول محلياً في اليوم الذي يلي هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، فإن التصعيد العسكري ليس هو الجواب.

2. في مناطق أخرى

الخيارات المتاحة ضد تنظيم الدولة الإسلامية سيئة على نحو خاص، إلا أن مجموعات أخرى تشكل معضلات مماثلة. إن أي حساب يستند جزئياً إلى قوة المجموعة وعلاقتها المحلية، كما تمت مناقشته أعلاه، لكن جزئياً أيضاً إلى القوى التي تستطيع التصدي لها. حتى جيوش الدول القادرة بشكل معقول ليست مبنية في كثير من الأحيان لمواجهة التهديدات المحلية.

العمليات الباكستانية الأولى التي شنت ضد المسلحين الذين يستضيفون القاعدة في المناطق القبلية، على سبيل المثال، والتي شنت غالباً بناء على طلب الولايات المتحدة عام 2002، كانت كارثية. تسبب الجيش في نشوء مقاومة، وأجبر بشكل متكرر على الانسحاب والتوصل إلى اتفاقيات يتنازل فيها للمسلحين عن المزيد من السلطات المحلية.¹¹² بعد موجات من الهجمات وازدياد تصميم النخب العسكرية، على الأقل ضد بعض المجموعات المسلحة، بات بوسع الجيش الآن إخلاء بعض المناطق والاحتفاظ بها، رغم أن العمليات لا زالت تتسبب بمقتل عدد كبير من المدنيين.¹¹³ إلا أن بعض قادة طالبان الباكستانيين عبروا الحدود إلى أفغانستان، في حين صعد المسلحون المنتشرون في سائر أنحاء باكستان هجماتهم التي شملت مناطق من قاعدة باديان في بيشاور إلى جامعة باشا خان في شرسادا، إلى أهداف عسكرية في كويتا. ما لم يتم إخضاع المناطق القبلية للحكم الدستوري المنتظم، وهو ما يتطلب إصلاحات تبدو المؤسسة الأمنية غير مستعدة للقبول بها لأن هذه المناطق تستضيف تقليدياً البنية التحتية لتدريب عملائها من المسلحين، وبالتالي فإن احتلال الجيش لهذه المناطق يبقى بديلاً مؤقتاً في أحسن الأحوال.

الرد الأولي لنيجيريا على بوكو حرام كان غير منظم أيضاً، وتراوح بين الإنكار والقمع الوحشي، والعمليات العسكرية، بما في ذلك الغارات الجوية التي قتلت العديد من المدنيين.¹¹⁴ أعدم العديد من الشباب أو سجنوا دون محاكمة.¹¹⁵ لم يكن هناك ثقة بالجنود القادمين من خارج الشمال والذين لا يعرفون العادات أو اللغات المحلية. وكان الفساد مستشرياً، والوسائل اللوجستية غير كافية والقيادة سيئة، وحالات الفرار والتمرد شائعة.¹¹⁶ حتى الآن، فإن العمليات النيجيرية والتشادية الأكثر كفاءة والتي ألغت مكاسب بوكو حرام تتسم بأنها ثقيلة الوطأة ولا تميز بين المدنيين والمسلحين. إنها قد لا تدفع المجتمعات المحلية لدعم بوكو حرام، لكنها تجعلها أقل رغبة بالتعاون مع الحكومة، حيث يختبئ المسلحون في المناطق الأكثر بُعداً. كما في المناطق القبلية في باكستان، ينبغي على نيجيريا وجيرانها الانخراط بشكل أكثر ودية ويعود بالفائدة على المناطق النائية فيها، خصوصاً حول بحيرة تشاد. عمليات سيناء في مصر ضد تنظيم الدولة الإسلامية، ومرة أخرى، فإن هذه المنطقة تتميز بضعف سيطرة الدولة فيها، وبالتالي تخاطر بمواجهة مشاكل مماثلة، مع تصاعد الأضرار الجانبية، وشعور السكان المحليين بأنهم يعيشون في ظل ظروف تزداد قسوة ودون مساعدة تذكر من الحكومة.

كما أن العمل من خلال مجموعات وكيلة يمكن أن يكون أكثر إشكالية. قد يكون تسليح نيجيريا وباكستان للميليشيات ضد بوكو حرام والمتطرفين القبليين حقق بعض المكاسب قصيرة الأمد، لكنه يتسبب بمشاكل بمرور الوقت.¹¹⁷ لقد أدى تسليح ميليشيات معادية لطالبان في أفغانستان في كثير من الأحيان إلى تعزيز مواقع القوى المحلية وشبكات المحسوبية الإقصائية التي تولد الدعم للمجموعات المسلحة وتثير النزاعات

¹¹² تقارير مجموعة الأزمات، Crisis Group Reports, *Pakistan: Countering Militancy in FATA*; and *Pakistan: Countering Militancy in PATA*, both op. cit.

¹¹³ Crisis Group Asia Report N°255, *Policing Urban Violence in Pakistan*, 23 January 2014.

¹¹⁴ انظر "Nigeria: At Least 1,000 Civilians Dead Since January", Human Rights Watch, 26 March 2015; and www.cfr.org/nigeria/nigeria-security-tracker/p29483.

¹¹⁵ انظر، على سبيل المثال، "Stars on Their Shoulders. Blood on Their Hands. War Crimes Committed by the Nigerian Military", Amnesty International, 3 June 2015.

¹¹⁶ Crisis Group Report, *The Boko Haram Insurgency*, op. cit.; also see Hilary Matfess, "Don't repeat mistakes against Boko Haram in Cameroon", Al Jazeera America, 2 October 2015.

¹¹⁷ فيما يتعلق بنيجيريا، انظر Haruna Umar, "Nigeria's army accuses 2 soldiers of arming Boko Haram", Associated Press, 10 February 2016; and Michelle Faul, "Report: 10 Generals guilty of arming Boko Haram", The Huffington Post, 3 June 2014., انظر Crisis Group Report, *Countering Militancy in FATA*, op. cit.

المحلية. من شبه المؤكد أن مثل تلك الديناميكيات سهلت توغلات طالبان في المناطق المحيطة بقندز عام 2015.¹¹⁸ في العراق، وليبيا، وسورية واليمن، قد تكون الميليشيات هي الأفضل تجهيزاً، لكن دعمها يسهم في تفكك هيكلية الدولة، ويعزز سباق التسلح والتطرف لدى جميع الأطراف. رغم ذلك فإن الحاجة لا تزال مستمرة لقوى من غير الدولة؛ حيث إن الجيش العراقي بحاجة لحلفاء سنة ضد تنظيم الدولة الإسلامية كما كان بحاجتها ضد تنظيم القاعدة في العراق. إلا أن صناعات السياسات ينبغي أن يكونوا على معرفة كاملة بالمخاطر وأخذ علاقات الميليشيات بالمجتمعات المحلية بعين الاعتبار بنفس القدر الذي يأخذون فيه في الحسبان رغبتها بالقتال.

ينطوي وجود قوات برية أجنبية على الأرض على تحديات أخرى. لقد كان هناك بعض النجاحات؛ فقد تمكنت عملية سرفال الفرنسية في مالي من إخراج المجموعات المرتبطة بالقاعدة بسرعة من المدن الشمالية، ما أتاح المجال للتوصل إلى اتفاق نهائي بين فصائل الطوارق والحكومة. لكن حتى هناك، فإن العمليات الأجنبية أخفقت في القضاء على الحركات التي تسربت إلى منطقة الساحل، وقد أتاح التنفيذ البطيء للاتفاق المجال أمامها مرة أخرى؛ حيث يتنامى الدعم لأنصار الدين، خصوصاً في كيدال.¹¹⁹ في مناطق أخرى، هناك سجل مزرر للتدخل العسكري المباشر. رغم أن غزو العراق عام 2003 كان مرتبطاً بشكل غير وثيق في البداية بمحاربة الإرهاب، فإنه بعث الحياة بحركة جديدة في حركة الإرهاب العالمية التي كانت مشتتة بعد خسارة ملاذاتها الآمنة في أفغانستان. حتى الحشد العسكري الأمريكي عام 2006، الذي يُشاد به في كثير من الأحيان على أنه يشكل نقطة تحول، فقد كان له سجل متفاوت؛ حيث حققت الصحوات التي دعمها نجاحاً عسكرياً أولياً ضد القاعدة في العراق، إلا أن تبعاته شكلت كارثة سياسية، حيث فاقم المالكي من عزلة السنة وقوّض المعارضة غير الجهادية.

في أفغانستان، تمكنت القوات المدعومة من الولايات المتحدة في البداية من إخراج طالبان وإضعاف القاعدة، لكن المجموعات المسلحة باتت الآن أقوى من أي وقت مضى والتحالف المعادي لطالبان في كابول في وضع أكثر اهتزازاً مما كان.¹²⁰ في عام 2006، عندما نشر حلف شمال الأطلسي قواته في الجنوب، تحولت المجموعات المسلحة إلى تكتيكات غير متمثلة أدى الدفع بأعداد أكبر أغلبها من الجنود الأمريكيين عام 2009 وبشكل مؤقت إلى عكس مكاسب طالبان لكن على حساب تصاعد خطير في أعمال العنف. كما في حالة الحشد في العراق، فإن حالات الفشل السياسي كانت أكبر بكثير من النجاحات العسكرية؛ حيث أجريت انتخابات رئاسية شابته مصداقيتها الكثير من المشاكل وتبددت فرص إجراء محادثات مع قادة طالبان بسبب تصميم القادة العسكريين الأمريكيين على القتال وإعلان الولايات المتحدة عن تاريخ للانسحاب.¹²¹ إن أسباب الصعوبات عديدة ومعقدة، بما في ذلك وجود ملاذات آمنة للمجموعات المسلحة في باكستان، لكن من الصعب الاستنتاج بأن القوات الغربية جعلت المنطقة أكثر استقراراً أو أماناً من التطرف الإسلامي. بدلاً من ذلك، فإن وجودها أسهم في تنامي التطرف في كل المنطقة؛ في بعض دول آسيا الوسطى، التي كانت مهددة أصلاً بسبب الاضطرابات في أفغانستان، عمق الاعتماد على أنظمة مغلقة للمحافظة على خطوط الإمداد من أنماط الحكم المزعزة للاستقرار.¹²²

في الصومال أيضاً، منح وجود القوات الأجنبية زخماً للمتطرفين. اكتسبت حركة الشباب الدعم من الإسلاميين والقوميين الذين عارضوا الغزو الأثيوبي في 2007-2008. العديد من الصوماليين ينظرون إلى قوات البلدان المجاورة في البلاد الآن في بعثة الاتحاد الأفريقي على أنهم محتلين وأن لهم دوافع مريبة، وهي مشاعر

¹¹⁸ انظر، على سبيل المثال، Deedee Derksen, "The Politics of Disarmament and Rearmament in Afghanistan", U.S. Institute of Peace, 20 May 2015.

¹¹⁹ مقابلات هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع متخصص في عمليات الوساطة، كانون الأول/ديسمبر 2015 وكانون الثاني/يناير 2016.

¹²⁰ Crisis Group Report, *Afghanistan's Insurgency after the Transition*, op. cit.; and Asia Report N°268, *The Future of the Afghan Local Police*, 4 June 2015.

¹²¹ Crisis Group Asia Report N°207, *The Insurgency in Afghanistan's Heartland*, 27 June 2011; and Crisis Group Report, *Afghanistan's Insurgency after the Transition*, op. cit. للمزيد حول إجماع القيادة العسكرية عن الدخول في محادثات، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين، تشرين الثاني/نوفمبر 2015؛ وأيضاً Rajiv Chandrasekaran, *Little America: the War within the War for Afghanistan* (New York, 2012).

¹²² بالنسبة لباكستان، انظر Moeed Yusuf, *Pakistan's Counterterrorism Challenges*, op. cit. وبالنسبة لآسيا الوسطى، انظر، على سبيل المثال، Crisis Group Europe and Central Asia Briefing N°78, *Tajikistan Early Warning: Internal Pressures, External Threats*, 11 January 2016; and Crisis Group Asia Report N°183, *Central Asia: Migrants and the Economic Crisis*, 5 January 2010.

تستغلها حركة الشباب كما تفعل طالبان تماماً.¹²³ الأولويات الغربية، مثل محاربة الإرهاب أو الانتخابات الوطنية، لا تتوافق مع تلك المجتمعات المحلية التي ينبغي استمالتها والمهتمة أكثر بالمصالحة الوطنية أو تسوية النزاعات. حتى إذا اعتبرت السياسة العسكرية استراتيجية احتواء لإبقاء الجهاديين ذوي الطموحات الإقليمية بعيداً عن السلطة في مقديشو، فإن هجمات الشباب في كينيا تشير إلى أنها تشكل نجاحاً جزئياً في أحسن الأحوال.

بشكل عام، فإن التجربتين الأفغانية والصومالية تبرزان نواقص مقارنة تجمع بناء مؤسسات مركزية إلى محاربة المجموعات المسلحة لكن دون استراتيجية سياسية أوسع تشمل المصالحة.¹²⁴ بالنظر إلى الأنظمة الهشة التي تدافع عنها القوات الغربية والأفريقية، فإن لا طالبان ولا الشباب من المرجح أن تُهزما ولا أن يتلاشى الدعم لهما عن طريق تحسين الحكم قريباً. في الواقع، فإن الحملات العسكرية تعمل وفقاً لأهداف متعارضة، حيث تعتمد على حلفاء محليين يشكل سلوكهم جزءاً من المشكلة، وفي بعض الحالات لهم مصلحة في إدامة حالة انعدام الأمن. في هذه الأثناء، فإن المساعدات العسكرية كانت في كثير من الأحيان تغذي الفساد.¹²⁵ وإذا كان سجل انتشار القوات الأجنبية سجل بانس، فإن ما ينبغي التفكير فيه هو أن الانسحاب يمكن أن يجعل الأمور أسوأ، أو على الأقل سيبيرز التركة الثقيلة لوجود هذه القوات. في العراق، سرّع رحيل القوات الأمريكية من ظهور تنظيم الدولة الإسلامية. وفي أفغانستان، ترك تخفيض عدد القوات الأجنبية بعض عواصم الأقاليم ضعيفة في وجه المجموعات المسلحة، حيث تجبر الولايات المتحدة الآن على إعادة إرسال جنودها لمنع إعادة الاستيلاء على هذه المناطق من قبل طالبان.¹²⁶ إذا انسحبت قوات الاتحاد الأفريقي، فإن حركة الشباب ستستولي على مقديشو.

في مالي، ربما، وبالتأكيد ضد بوكو حرام كان العمل العسكري ضرورياً. وفي أماكن أخرى، ينبغي أن يكون عادة جزءاً من الرد – حتى لمنع توسع الجهاديين أو منع ارتكاب فظاعات. إلا أن التاريخ الحديث يشير إلى أن لجوء الحكومات والشركاء الأجانب إلى الحرب يكون أسرع مما ينبغي. إن تصوير الحروب على أنها صراعات بين الحكومات والمتطرفين بشكل ثنائية مفردة في التبسيط ويتجاهل الدوافع المعقدة والمتعددة الأبعاد والقديمة في معظم الأحيان للعنف، وهو تشخيص من المحتمل أن يؤدي إلى ارتكاب أخطاء. العديد من المجموعات تثبت أنها أقدر على المقاومة والاستمرار مما كان متوقعاً. يصعب اجتثاث المسلحين الذين يتمتعون بعلاقات قوية مع المجتمعات المحلية والذين يستغلون مظالم حقيقية تصعب تسويتها بسرعة؛ وفي تلك الحالة فإن العمل العسكري يعقد المشكلة. فيما يتعلق بالجذور المحلية لتنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة، وربما حتى القاعدة في شبه الجزيرة العربية فإنها تشبه حركتي طالبان والشباب أكثر بكثير مما تشبه بوكو حرام أو القاعدة في مالي حوالي عام 2013.¹²⁷ دون استراتيجية فاعلة وإقامة نظام سياسي دائم، فإن العمل العسكري ضد المجموعات المسلحة من غير المرجح، بمرور الوقت، أن يقلص التهديد الذي تشكله.

"العقد الماضي مليء بالأمثلة على العنف الذي إما يعمق الدعم الذي يحظى به المتطرفون أو يترك المجموعات المحلية عالقة بين حكمهم القاسي والحملات الوحشية ضدهم."

عندما تكون القوة مطلوبة، فلا يبذل عادة الاهتمام الكافي بأثرها الأوسع. العقد الماضي مليء بأمثلة على العنف الذي يعمق الدعم للمتطرفين أو يترك المجموعات المحلية عالقة بين حكمهم القاسي والحملات الوحشية ضدهم. إن قدرة الجهاديين على الحماية من ضراوة الحكومات، أو الميليشيات الأخرى أو القوى الأجنبية هو

¹²³ انظر، على سبيل المثال، Crisis Group Africa Briefing N°74, *Somalia's Divided Islamists*, 18 May 2010; and Report, *Somalia: Al-Shabaab*, op. cit

¹²⁴ السنوات الأولى من التدخل في أفغانستان ركزت حصرياً على محاربة الإرهاب، وليس على بناء الدولة. حتى مع شروع القوى الغربية تدريجياً بتخصيص الموارد للمؤسسات، فإنها أهملت تلك التي تتفاعل مع المواطنين، مثل السلطات المحلية ومؤسسات حكم القانون، بينما استمرت الافتراضات الكامنة وراء المراحل الأولى من التدخل فيما يتعلق بطالبان.

¹²⁵ على سبيل المثال، انظر، "Corruption: Lessons from the International Mission in Afghanistan"، Transparency International UK, February 2015; "Operationalizing Counter/Anti-Corruption Study"، Joint and Coalition Operational Analysis (JCOA), 28 February 2014; or Dana Hedgpeth, "\$13 Billion in Iraq Aid Wasted Or Stolen, Ex-Investigator Says"، *The Washington Post*, 23 September 2008

¹²⁶ Barack Obama, "Statement by the President on Afghanistan"، Washington DC, 15 October 2015

¹²⁷ يبدو أن أنصار الدين، والمرابطون/وحركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا وحتى القاعدة بدأت ترسخ جذورها في مالي بين فصائل إيفوراس، وبدو الفولاني على الحدود مع النيجر والقبائل العربية حول تمبكتو. ملاحظات ومقابلات شخصية وهاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، مالي، كانون الثاني/يناير – شباط/فبراير 2016.

عنصر أكثر محورية لنجاحهم من الأيديولوجيا. إنهم يرتكبون أعمال عنف مروعة؛ والانتحاريون، الذين كانوا يلقون الإدانة والشجب قبل بضع سنوات على أنهم لا ينتمون إلى السواد الأعظم من العالم الإسلامي، باتوا الآن في كل مكان. إلا أن كثيرين منهم يقاتلون في صراعات تنتهك فيها جميع الأطراف القانون الدولي. لذلك، فإن استعادة العمل بالقواعد – بداية بإظهار خصوم الجهاديين درجة أكبر من الاحترام لقانونية أفعالهم – ينبغي أن يكون أولوية.

ب. الاغتيال بصفته تكتيكا ذو قيمة محدودة

تشكل عمليات القتل المستهدفة تكتيكا فعالاً فقط طبقاً لمدى فعالية الاستراتيجية التي توجهها. يمكن لهذه العمليات أن تعطل شبكات المتطرفين والهجمات المحتملة على الغرب من مسافات بعيدة، وفي حالة الطائرات دون طيار، دون وجود خطر مباشر على الطواقم العسكرية الأمريكية. ومن المؤكد أنها عطلت عمليات القاعدة في المناطق القبلية في باكستان ويبدو أنها أثرت على قدرة تنظيم الدولة الإسلامية على العمل في أفغانستان.¹²⁸ يمكنها أن تعيق تحركات القادة ولها أثر نفسي قوي على المجموعات. إلا أن قوتها الأكبر تشكل أيضاً نقطة ضعفها؛ فبدفع الحرب غير المتماثلة إلى حدها الأقصى – حيث يتحمل السكان المستهدفون كل الضرر، بما في ذلك غير المقاتلين، دون أن يتحمل الطرف المهاجم أي ضرر – فإن الغارات التي تشنها طائرات دون طيار يمكن أن تزعزع استقرار الأوضاع السياسية المحلية وتغذي مشاعر الغضب. ما لم تكن هذه العمليات جزءاً من استراتيجية أوسع لتهدئة صراع ما، فإن مكاسبها التكتيكية تأتي بكلفة عالية.

خارج باكستان، حققت عمليات القتل المستهدف أثراً أقل على قوة المجموعات المسلحة. شكلت الغارات الجوية التي تشنها طائرات دون طيار في اليمن، على مدى سنوات مكوّناً رئيسياً لسياسة الولايات المتحدة حيال القاعدة في شبه الجزيرة العربية، وقتلت بعض قادتها، بمن فيهم الوحشي، وفي وقت سابق أنور العولقي، وهو أحد المنظرين الأيديولوجيين الكبار للقاعدة. وقد تجاوزت الحركة هذا، بينما غذى مقتل المدنيين الذي كان جزءاً من الأضرار الجانبية لهذه العمليات الغضب، خصوصاً بين القبائل التي يعد دعمها ضد تنظيم القاعدة أمراً محورياً، وعزز المشاعر المعادية للغرب، وإن لم تصل إلى الدعم المباشر للجهاديين.¹²⁹ إذا كان أثر اغتيال قادة القاعدة في شبه الجزيرة العربية في اليمن المستقرة نسبياً قبل عام 2011 غير مؤكد، فإنه لا يمكن التنبؤ به على الإطلاق في الفوضى المنتشرة اليوم، حيث تتنافس القاعدة مع تنظيم الدولة الإسلامية وباتت منخرطة في تحالفات وصراعات محلية. إن تحالف النصر مع المعارضة المسلحة في سورية يعني أن قتل قادتها هناك أيضاً قد يكون له تبعات غير مقصودة، خصوصاً تعميق الغضب ضد الغرب في أوساط الحلفاء المحتملين وتقوية تنظيم الدولة الإسلامية.¹³⁰ وهذا يفترض، بالطبع، أن مشغلي الطائرات دون طيار يمكن أن يميزوا، وبشكل يمكن الركون إليه، بين المسلحين، حيث يستهدفون البعض دون البعض الآخر – وهو أمر صعب، خصوصاً في المناطق الحضرية.¹³¹

في الصومال، قتلت الولايات المتحدة قادة، بمن فيهم القائد العسكري لحركة الشباب، أدن حاشي فرح أيرو (بصاروخ كروز عام 2008) وقاندها، أحمد عبيد كودان (باستخدام طائرة دون طيار عام 2015). لكن سرعان ما ظهر من حل محلهم، وأسهم الانتقال من أيرو إلى كودان بزيادة تطرف الحركة، مع تسارع جهود الانضمام إلى القاعدة.

في مناطق أخرى أيضاً، حل قادة أكثر تشدداً محل القادة الذين تم اغتيالهم: حيث حل حكيم الله محسود المفرط في طائفته في طالبان باكستان محل بيت الله محسود؛ وأبو بكر شيكاو محل قائد بوكو حرام محمد يوسف (الذي قتل وهو محتجز لدى الشرطة).¹³² خلال الحشد العسكري في أفغانستان والعراق على حد سواء، يبدو أن قتل القادة متوسطي المستوى قد أدى إلى ظهور جيل أكثر تطرفاً ووحشية.¹³³ في حين أن هذا قد يكون أذى، في بعض الحالات، إلى توثيق العلاقات بين المجموعات المسلحة والمجتمعات المحلية، فإن قتل القادة على أمل دفع هذه المجموعات إلى المزيد من التطرف، وعلى أمل أن ذلك سينفّر المجتمعات المحلية منها،

¹²⁸ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع خبير دولي على اتصال مع ممثلي حركة طالبان، آذار/مارس 2016.

¹²⁹ Christopher Swift, "The Boundaries of War: Assessing the Impact of Drone Strikes in Yemen", in Peter Bergen and Daniel Rothenberg (eds.), *Drone Wars* (Cambridge, 2015) p. 79.

¹³⁰ هذا هو الحال بشكل خاص عندما يكون هناك أضرار جانبية، ما يسهم في إغضاب العديد من مجموعات المعارضة المسلحة من أن القوى الغربية يمكنها شن الغارات الجوية دون أن تفعل شيئاً ضد غارات النظام.

¹³¹ لمراجعة المزيد من الإحصائيات، انظر "Drone Wars Yemen: Analysis", New America Foundation, <http://securitydata.newamerica.net/drones/yemen-analysis.html#page1>.

¹³² Crisis Group Report, *Pakistan: Countering Militancy in FATA*, op. cit.

¹³³ للمزيد، انظر Crisis Group Reports, *Afghanistan's Insurgency after the Transition*, p. 26; and *Iraq after the Surge I*, both op. cit.

وعلى أمل أنه يمكن لاحقاً استمالة هذه المجتمعات، استراتيجية غير موفقة بالنظر إلى سجل الدول والقوى الخارجية في كلا المكانين.

"ليس هناك الكثير مما يمكن أن يشير إلى أن عمليات القتل المستهدف ستساعد في إنهاء الصراعات التي يقاتل فيها الجهاديون أو إضعاف تحركاتهم بشكل حاسم."

الخلاصة هي أن الاغتيالات يمكن أن تساعد في تعطيل قدرة القادة والمجموعات على العمل، إلا أن القدرة على التنبؤ بذلك متدنية والمخاطر مرتفعة. إن أثر استخدام ذلك ضد حركات مسلحة كبيرة في مناطق حرب، خصوصاً تلك الشبيهة بتنظيم الدولة الإسلامية التي يكتنف الغموض أليات عملها الداخلية وهيكلية القيادة فيها، غير مؤكد على نحو خاص. رغم أن هذا قد يؤدي إلى تمزيق بعض المجموعات، ففي حالة مجموعة منظمة جيداً مثل تنظيم الدولة الإسلامية، فإن البديل، الذي قد يكون أكثر تطرفاً، من المرجح أن يظهر بسرعة.¹³⁴ إن حقبة من الاقتتال بين الجهاديين – حيث تواجه القاعدة ومنظمات أخرى تنظيم الدولة الإسلامية في أفغانستان، وليبيا، والساحل، وسورية واليمن – يجعل أثر ذلك أقل حتمية. ليس هناك الكثير مما يشير إلى أن عمليات القتل المستهدف ستساعد سواء على وضع حد للصراعات التي يقاتل فيها الجهاديون أو إضعاف تحركاتهم.

ج. الحوار

يشكل التحدث إلى تنظيم الدولة الإسلامية والمجموعات المرتبطة بالقاعدة، سواء من أجل التفاوض على الرهائن، أو وصول المساعدات الإنسانية أو وضع حد للعنف، تحديات عملية وجوهرية. هناك أخطار جسدية فيما يتعلق بالوسطاء. بنية وتراتبية هذه الحركات غامضة في كثير من الأحيان. قد يكون للقادة آراء مختلفة عن آراء المقاتلين الموجودين على الجبهات. غالباً ما يواجه الوسطاء مقاومة من الدول التي تعرضت لهجمات. كما يمكن أن تكون العقوبات قانونية. بعض الدول تحظر وصول الدعم المادي إلى المجموعات المصنفة على أنها إرهابية بطرق تشكل عقوبة للحوار؛ في حين تحظر دول أخرى تسهيل نقل ممثلي هذه المجموعات إلى أماكن اجتماع آمنة.¹³⁵

كما أن الأيديولوجيا العابرة للأوطان لقادة تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة تغلق الفضاء، على الأقل بالنسبة للحوار السياسي. لا يطرح كبار قادة تنظيم الدولة الإسلامية أية مطالب؛ وحتى التفاوض على تقديم الإغاثة مع القادة المحليين كان صعباً.¹³⁶ قد يستفيد تنظيم الدولة الإسلامية من المظالم الحقيقية، لكن لا قادته ولا كثيرين في القاعدة يشيرون إلى أن صراعاتهم سينتهي إذا تمت معالجة تلك المظالم؛ وليس ثمة ما يشير إلى أن محاولات التفاوض ستضع حداً للعنف. إن بعض أهدافهم – استعادة الخلافة من جنوب إسبانيا إلى إندونيسيا، وتدمير إسرائيل، والانسحاب الغربي الكامل من العالم الإسلامي – غير قابلة للتحقيق عن طريق التفاوض. رغم أن رؤيتهم الاجتماعية المتقشفة، بما في ذلك تفسيرهم الحرفي للقرآن، لا تقتصر عليهم، فإن إنهاء الحروب التي يقاتلون فيها ستطلب درجة معينة من التعددية السياسية والدينية.

في بعض الأوقات أيضاً، التفاوض جعل بعض الحركات التي لا تتمتع بدعم شعبي يذكر أكثر جراً. في المناطق القبلية الباكستانية، أحدث تعامل الجيش مع فصائل طالبان الباكستانية أثراً عكسياً. وعلى نحو مماثل، وافقت الحكومة الفيدرالية وحكومة خيبر باختون خواه المحلية على اتفاقيات سلام متكررة مع الفصيل الذي يقوده الملا فضل الله في طالبان بعد أن استولى على سوات، وفوضت إليه المزيد من الصلاحيات في كل

¹³⁴ لقد وجدت دراسة واسعة النطاق للحركات المسلحة أن اغتيال القادة يحقق أفضل النتائج عندما تكون الحركات "ضعيفة ضمناً وتركز على عبادة الشخصية"، وهذا لا ينطبق على تنظيم الدولة الإسلامية. Max Boot, *Invisible Armies: An Epic History of Guerrilla Warfare from Ancient Times to the Present* (New York, 2013). وتشير الدراسات التي تتناول أثر قتل قادة المنظمات الإجرامية التي تقدم المنافع العامة إلى أن من غير المرجح أن يتسبب الاغتيال في القضاء على المنظمة في غياب استراتيجية أوسع، تشمل عادة تحريك الدولة لتقديم تلك الخدمات. انظر، على سبيل المثال، Cockayne, *Hidden Power*, op. cit.

¹³⁵ الولايات المتحدة، على سبيل المثال، تحظر الدعم المادي "ومشورة أو مساعدة الخبراء" للمنظمات الإرهابية الأجنبية، رغم أن بوسع وزير الخارجية إعطاء استثناءات. "Providing material support or resources to designated foreign terrorist organizations", Title 18, U.S. Code 2339B. قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2178 (24 أيلول/سبتمبر 2014) يحد من قدرة المجموعات الإرهابية على السفر أو الحصول على المواد/المعدات للقيام بأنشطتها.

¹³⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع عاملين ومنظمات تعمل في المجال الإنساني، تشرين الثاني/نوفمبر 2015.

مرة، إلى أن استولى على بونر، على بعد بضعة مئات من الكيلومترات شمال إسلام آباد، ما أثار غضباً محلياً ودولياً ودفع إلى شن هجوم عسكري جدي ضد الفصيل.¹³⁷

لكن بالمقابل، فإن الحكومات تحاشيت الحوار بشكل غير إيجابي، وهي نزعة تتعمق فيها مخاطرة تصوير الحركات مختلفة المشارب على أنها تتكون من "متطرفين عنيفين". بالنظر إلى الماضي من منظور ما نعرفه الآن فإن رفض الولايات المتحدة عام 2001 لعروض بعض قادة طالبان بأن يقبلوا بالنظام الجديد مقابل مناصب حكومية أو مقابل الحفاظ على أرواحهم يبدو غير حكيم.¹³⁸ لم يكن إشرافهم ليمنع نشوء شكل من أشكال التمرد المسلح دون أن يوازي ذلك تحول من التركيز على محاربة الإرهاب، والتوصل إلى تسوية أكثر شمولية في كابول، وإقامة إدارة أفضل هناك وفي المناطق وبذل جهود أكبر لإشراك باكستان. إلا أن ذلك كان سيغير شكل التمرد المسلح. الآن بات على كابول وحلفائها الأجانب التنازل عن المزيد لإقناع طالبان بالتوقف عن القتال، هذا إذا كانت الحركة تنوي ذلك أو تستطيع فعله دون أن تنقسم.

إن الإحجام عن الحوار في أوج الحرب على الإرهاب يعني أن فرصاً قد تم تفويتها مع حركة الشباب أيضاً.¹³⁹ في مالي، كان إشراك زعيم أنصار الدين، إياد الغالي، في العملية السلمية يمثل تحدياً، لكن كثيرين يعتقدون أنه بدونها، فإن السلام حول كيدال سيظل صعب التحقيق. اتفاقية مالي أيضاً لم تستكشف دور الدين في السياسة؛ ربما كان ذلك سيقص من الدعم الذي تحظى به المجموعات المتطرفة وذلك بمعالجة أحد مطالبهم الرئيسية.¹⁴⁰ بدا أن الجهود الرامية لإقناع قادة أنصار الشريعة في ليبيا بقبول الديمقراطية بعد الثورة تحقق بعض النتائج، قبل أن يتم تقويضها بالعنف المتصاعد.¹⁴¹

في نفس السياق، بعد عمليات قمع مايدوغوري عام 2009، دعت حركة بوكو حرام إلى ترميم مسجدها – الذي دُمر خلال القتال ومحاسبة المسؤولين عن مقتل زعيمها.¹⁴² كان سببها أن الحوار صعب، إلا أن تلك المطالب كان يمكن أن تقدم نقطة انطلاق. بدلاً من ذلك، قام الطرفان بالتصعيد، وتحولت بوكو حرام إلى تهديد إقليمي. كان ينبغي على الحكومة النيجيرية أن تستمر في عرض الحوار على أي عضو مستعد له – جزئياً لمواجهة رواية الحركة بوجود دولة قاسية وقمعية وجزئياً قد يكون هناك فصائل أكثر براغماتية يمكن إشراكها. كما ينبغي أن تخضع قتلة يوسف للعدالة وأن تطلق سراح زوجات زعماء بوكو حرام اللاتي سجنتهن. لكن إنهاء العنف من خلال تسوية يتم التوصل إليها عن طريق الوساطة مع النواة الصلبة الراديكالية والتي تبدي ملامح عدمية على نحو متزايد تبدو بعيدة المنال.

يبدو أن رفض الحوار مع الجهاديين من حيث المبدأ قد عفا عليه الزمان، بالنظر إلى أهميتهم، والعلاقات التي يقيمها بعضهم مع المجتمعات المحلية والسجل المتفاوت للعمل العسكري ضدهم؛ كما ينبغي محاولة تقليص التأييد الذي يمتعون به من خلال تقديم آليات حكم أفضل. هناك جهود تبذل أصلاً مع بعض الحركات التي كانت توصف سابقاً بأنها "لا يمكن التصالح معها"، بما في ذلك طالبان أفغانستان؛ وثمة جهود تبذل مع بعض الأطراف في حركة الشباب. بات ينظر إلى أحرار الشام، وعن حق على الأقل من قبل القوى الغربية والخليجية، بوصفها محاور في محادثات السلام السورية، رغم أن بعض نشطاء القاعدة كانوا من بين أعضائها المؤسسين.¹⁴³ كما سبقت الإشارة، فإن استيلاء المجموعات المرتبطة بالقاعدة على الأرض،

¹³⁷ Crisis Group Report, *Pakistan: Countering Militancy in PATA*, op. cit.

¹³⁸ انظر Crisis Group Report, *Insurgency in Afghanistan's Heartlands*, op. cit. طبقاً لخبراء على اتصال بالجماعات المسلحة، فإن طالبان كانت ترسل مبعوثين حتى عام 2005. مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، آذار/مارس 2016.

¹³⁹ Crisis Group Reports, *Somalia: To Move Beyond the Failed State*; and *Somalia's Divided Islamists*, both op. cit.

¹⁴⁰ حاول بعض متمردي الطوارق إطلاق نقاش حول الدين خلال محادثات السلام في الجزائر، إلا أن معظم الوسطاء الدوليين حذروا من أن هذا يشكل خطأ أحمر. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع أفراد فريق الوساطة، أيلول/سبتمبر 2014.

¹⁴¹ من أواخر عام 2012 إلى مطلع عام 2014، تحاور سياسيون ليبيون، خصوصاً أولئك المرتبطون بحركة الإخوان المسلمين الليبية، مع مسلحي أنصار الشريعة في بنغازي ودرنة سعياً منهم لإقناعهم بأن الديمقراطية، إذا تأسست على قوانين تلتزم بالشريعة، ليست غير إسلامية. حققوا بعض النجاح؛ حيث قام أحد قادتها بزيارة المجلس التشريعي المنتخب على سبيل المثال، لكن ذلك توقف في أواسط عام 2014، عندما تم استهداف أنصار الشريعة والأشخاص الذين كانوا يتحدثون إليها من قبل قوات حفتر. مقابلات وملاحظات لمجموعة الأزمات، طبرق، البيضاء، بنغازي، 2014-2015.

¹⁴² بذلت عدة محاولات للحوار مع بوكو حرام. اجتمع الرئيس السابق أولوسيجون أوباسانجو مع صهر يوسف، بابكورو فوغو، الذي قُتل والده في معركة مايدوغورو؛ حيث أطلقت النار على بابكورو من قبل أحد أعضاء بوكو حرام بعد ذلك بوقت قصير. في بعض الأحيان كان يتم طرد أشخاص يدعون بأنهم يمثلون بوكو حرام من قبل شيكاو. انظر، على سبيل المثال، Crisis Group Report, *Boko Haram*, op. cit., and Virginia Comolli, *Boko Haram, Nigeria's Islamist Insurgency* (UK, 2015).

¹⁴³ أبو خالد السوري، وهو من بين الأعضاء المؤسسين لأحرار الشام، كان منضوياً تحت لواء القاعدة وعينه الزرقاوي لاحقاً للتوسط بين النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية لكنه قتل في هجوم انتحاري يشك بأن تنظيم الدولة الإسلامية نفذ. انظر Hanieh and Rumman, *The "Islamic State" Organization*, op. cit. أو Charles R. Lister, *Syrian Jihad*, op. cit.

والتنسيق مع المنظمات العاملة في مجال تقديم المساعدات والصلوات بالمجموعات المسلحة المدعومة من الدولة يمكن أن تفتح فرصاً حتى مع هذه المجموعات.

ينبغي مقارنة الاتصال بالعديد من المجموعات دون توقعات كبيرة بأن النواة الصلبة في هذه المجموعات ستبتعد عن الجهاد العالمي، ناهيك عن التوجه نحو المشاركة السياسية السلمية أو السلفية المسالمة. قد تكون التوقعات أفضل فيما يتعلق بالمجموعات ذات الأهداف الوطنية وحتى أفضل من ذلك مع تلك المجموعات المستعدة لتقبل التعددية. لا ينبغي بالضرورة أن تحاول الحكومات بنفسها المشاركة في الحوار. إلا أن صنّاع السياسات، وبالتأكيد في العواصم الغربية، يمكن أن يستفيدوا من الاتصالات المستمرة بين الأعضاء في المجموعات المتطرفة وآخرين ومن الحوار الجاري أصلاً، بما في ذلك الذي يشمل رجال الدين أو قادة المجتمعات المحلية الآخرين، والوسطاء من غير الدولة والمجموعات الإنسانية. يمكن لجميع هؤلاء أن يساعدوا في إلقاء الضوء على الديناميكيات العاملة داخل المجموعات، وتيسير وصول المساعدات الإنسانية، وفي بعض الأماكن، تخفيف حدة المعاناة. رغم أن العديد من الحركات الجهادية ارتكبت أعمال عنف مروعة ضد المدنيين، فإن الحروب التي يقاتلون فيها اشتملت أيضاً على فترات ارتكبت فيها لاعبون آخرون أيضاً. ينبغي التعامل مع الجرائم من خلال العدالة الانتقالية، إذا كان ذلك قابلاً للتحقق، دون أن يكون له أثر على اتخاذ القرارات حول ما إذا كان ينبغي إجراء الحوار.

الوسطاء يواجهون دائماً الأسئلة: ما هو هدف الحوار؟ ما هي المخاطر؟ هل سيسهم ذلك في تمكين المتشددين الذين لا يحظون بالشعبية على حساب أولئك الأكثر ميلاً إلى التوصل إلى حل وسط؟ هل سيكون لذلك كلفة يدفعها الآخرون؟ من يؤهله موقعه أكثر من غيره للقيام بذلك؟ هل يمكن لذلك أن ينزع الشرعية عن استعمال العنف من قبل أولئك الذين لا يشاركون؟ رغم أن الأجوبة قد تتفاوت، فإن هذه الأسئلة هي نفسها بالنسبة للمجموعة الأكثر تطرفاً وكذلك بالنسبة لأي حركة مسلحة. المهم على نحو خاص الآن بالنسبة لكل المجموعات – تلك التي لها أهداف عابرة للأوطان وكذلك تلك التي لها أهداف وطنية – هو مراقبتها بصفتها قوات مهمة في الصراعات، وليس فقط بوصفها تهديدات للغرب؛ والإبقاء على الباب مفتوحاً مناصفة على الحوار؛ وتحديد وتقييم الاحتمالات المستقبلية عند ظهورها. إن فرص فتح خطوط اتصال سرية، على الأقل لمحاولة التعرف على ما إذا كان لدى بعض المجموعات مطالب يمكن استخدامها كأساس للمحادثات أو إبعاد هذه المجموعات عن تلك غير القابلة للتسوية، تكون عادةً جديرة بالمتابعة.

د. منع الأزمات أو منع التطرف العنيف؟

يضيف التوسع الأخير لتنظيم الدولة الإسلامية والمجموعات المرتبطة بالقاعدة مسحة جديدة من الإلحاح على منع العنف، خصوصاً في الحزام الممتد من غرب أفريقيا إلى جنوب آسيا. وحيث إن من المرجح أن تستفيد مثل هذه الحركات من أي أزمة جديدة، وإن احتمالات عكس مكاسبها أو إنهاء الأزمة تنقلص حالماً تبدأ هذه الأزمات، من المهم دعم الدول التي لا تزال صامدة لكنها عرضة لهذه الأزمات. تحت قشرة رقيقة من الاستقرار، فإن بعضها – في حوض بحيرة تشاد، ومنطقة الساحل، وشمال أفريقيا، والشرق الأوسط، وحتى في الخليج وبالتأكيد آسيا الوسطى – تبقى هشة.

أما كيف تسهم الأجندة الناشئة لمواجهة التطرف العنيف في هذا فلا يزال غير واضح. تم وضع تصور للأجندة بوصفها ثقلاً موازناً لكن ناعماً للرد العسكري على أحداث 11 أيلول/سبتمبر والذي أطلقته في البداية الجهات الفاعلة في التنمية والتي أدركت عيوب نهج متجذر في العنف وحسب.¹⁴⁴ تنزع نقاط عملها إلى شمول الانخراط المدني مع المجتمعات المحلية، وإيجاد "رواية مضادة" ضد التيارات غير المتسامحة في الدين؛ والتركيز على وقف تدفق المقاتلين الأجانب؛ ومعالجة "الأسباب الجذرية" للتطرف، والتي ترتبط في كثير من الأحيان بعدم وجود فرص للشباب، وفي بعض الحالات، الحكم السيء أو التعسفي. تؤكد مختلف الدول والأمم المتحدة على أوجه مختلفة: بعضها يركز على الأيديولوجيا؛ وبعضها الآخر يركز على عوامل الجذب أو مسارات التجنيد المحددة التي تغوي الأفراد بالانضمام إلى تلك المجموعات؛ في حين تركز دول أخرى على "الأسباب الجذرية" وعوامل "الجذب". تدعو خطة العمل لمنع التطرف العنيف التي وضعها مؤخراً الأمين العام للأمم المتحدة الدول لوضع خطط عملها بشكل يتضمن إجراءات تعالج مصادر الضعف المتنوعة.¹⁴⁵

Georgia Holmer, "Countering Violent Extremism: A Peacebuilding Perspective", U.S. Institute of Peace, Special Report 336, September 2013

¹⁴⁵ خطة عمل الأمم المتحدة، <https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N15/456/22/PDF/N1545622.pdf?OpenElement>. تشير الخطة إلى منع، وليس إلى مواجهة، التطرف العنيف، إلا أن الفكرة هي نفسها تقريباً.

جزء كبير من أجندة مواجهة التطرف العنيف منطقي. كان حيويًا تأكيد خطة الأمم المتحدة على المظالم التي تكمن وراء قدرة المتطرفين على تجنيد الأعضاء الجدد؛ وعلى مسؤولية الدول، وعلى الصلات بين التطرف وانتهاكات حقوق الإنسان، وعلى الحكم القمعي والتعسفي، وعلى التطلعات المقموعة والتهميش. وكذلك هي دعوة لجميع الدول الأعضاء إلى عدم انتهاك حقوق الإنسان عند الرد. رغم أن الخطة لا تربط المكاسب التي حققها الجهاديون مؤخراً بشكل صريح بالسياسات التي تنتهجها القوى الرئيسية والإقليمية في الشرق الأوسط، فإنها تقر بأن التطرف العنيف لا ينشأ في فراغ وتدعو إلى مضاعفة الجهود لإنهاء الصراعات الطويلة.

بالنظر إلى أن الموجة الرابعة تدين بالكثير لإخفاق السياسات القائمة على الأمن منذ 11 أيلول/سبتمبر، فإن انتقاد أجندة مواجهة التطرف العنيف، والمصممة خصيصاً لتصحيح هذه الإخفاقات، قد يبدو فظاً. لكن قد يكون هناك أخطار في البلاد التي تستخدم معلومات مواجهة التطرف العنيف بوصفها المنظور الرئيسي التي تنظر من خلاله إلى التهديدات التي يتعرض لها استقرارها.

أولاً، بينما يتم التعرف على العوامل المختلفة التي تشكل دافعاً للتطرف العنيف فإن تحويل الموارد نحو الجهود الرامية إلى معالجتها أمر مهم، أما تصوير هذه الجهود على أنها بصراحة جهود لمحاربة التطرف العميق ليست بتلك الأهمية. العديد من هذه الجهود قيّمة دون شحنها بتوقعات اجتثاث التطرف التي قد لا تكون قادرة على تحقيقها أو يمكن أن تقوّضها. إن توفير فرص العمل للشباب أمر حكيم، على سبيل المثال، لكنه لا يمنهم من الانضمام إلى المجموعات المتطرفة إلا في بعض الظروف وحسب. إن مساعدة المجتمعات المحلية المهمشة أمر محوري، لكن القيام بذلك لكسب دعمها ضد "المتطرفين"، أو الأسوأ من ذلك، جعل التنمية مشروطة بذلك، يمكن أن تحقق نتائج عكسية فيما يتعلق بالمساعدات والجهات التي تقدمها. التعليم حق أساسي للأطفال؛ أما تصويروه أو تصوير أية التزامات حكومية أخرى تجاه مواطنيها بأنه لمواجهة التطرف العنيف من شأنه أن يشوه تقديم الخدمات العامة الأساسية. وفي الوقت نفسه ينبغي على النساء النشاطات أن ينخرطن في المساعدة على وضع السياسة، وليس الإبلاغ عن أبنائهن، كما حدث في بعض الأماكن.¹⁴⁶ إن تشجيع الحكومات على توسيع المشاركة والإصلاح التدريجي هو عادة المساهمة الأكثر أهمية التي يمكن للحلفاء تقديمها لمنع الأزمات التي تنتج الفرص للمتطرفين. إلا أن تسمية مثل تلك الدبلوماسية مواجهة التطرف العنيف لا تضيف إليها أية قيمة.

ثانياً، قد لا تكون الحكومات والأمم المتحدة في الموقع الأفضل لتطوير روايات مضادة حول الدين بأنفسها، في حين أن الاستمالة يمكن أن تضعف الأئمة "المتعاونين". على الحكومات أن تسمح وأن توفر الفضاء للأصوات الإسلامية المختلفة، سواء كانت سلفية أو غير ذلك. كما تم تبيان أعلاه، فإن الأمر الأكثر أهمية ربما، هو أن دور الأيديولوجيا في دفع ظهور المتطرفين ليس مسلماً به. رغم أن الدعوة السلفية وعمليات الأسلمة التي تتم برعاية الدول في كثير من الأحيان لأجزاء من المجتمع ساعدت على تهيئة الظروف، فإن الموجة الرابعة تدين لاستغلال الجهاديين للحرب وانهايار الدول، أو تبيّن المجموعات المسلحة لتكتيكات أكثر تطرفاً مع تعمق الأزمات، أكثر مما تدين للتطرف الذي كان موجوداً قبل الأزمات. خلال الأزمات، يستند التأييد الذي قد يتمتع به المتطرفون في المجتمعات المحلية، في معظم الحالات، ليس إلى القيم المشتركة بل إلى الأشياء الأخرى التي يقدمونها عندما يكون هناك حالة انهيار؛ مثل الحماية من نظام مكروه، أو تسوية سريعة للنزاعات، أو تحقيق الارتقاء الاجتماعي أو الفرص في تحقيق المكاسب.

تشكل تشاد مثلاً يستحق الدراسة. بعد النأي بنفسها في البداية عن القتال في نيجيريا ضد بوكو حرام، أرسل الرئيس إدريس ديبي قواته في مطلع عام 2015، بعد أن بدأ العنف بقطع ممرات الاتجار بالمواشي والتأثير على اقتصاد تشاد. شكلت قواته رأس حربة في الهجمات التي أخرجت المسلحين من القرى التي كانوا قد استولوا عليها في سائر أنحاء شمال شرق نيجيريا. رداً على ذلك، بدأت بوكو حرام بتهديد تشاد وديبي ببيانات تصدرها على الإنترنت. بحلول ذلك الوقت، كانت الأزمة قد تجاوزت الحدود، مع اختراق المسلحين لمحيط بحيرة تشاد وإطلاق هجمات انتحارية في نجامينا. أطلق ديبي عمليات قمع استهدفت المجتمعات المحلية في محيط البحيرة، متهماً إياها بإقامة علاقات مع بوكو حرام، وكغيرها من الحكومات المطلة المتشاطئة، قلّصت حكومة تشاد أنشطة هذه المجتمعات في صيد الأسماك، وبالتالي وضعت قيوداً على كسب رزقها ونفرت حلفاء محتملين ضد المسلحين.

كان التوغل التدريجي، والممول غالباً من دول الخليج، للسلفية قد سبق بوكو حرام. وكما في مناطق أخرى في أفريقيا، فإن قادة الصوفييين في تشاد يشكون من خسائرهم، خصوصاً بين الشباب، لصالح السلفيين الأكثر تطرفاً. ديبي يروج لما يسميه "الإسلام الأفريقي"، أي الصوفية ذات النكهة المحلية، ويحاول تقييد أنشطة

¹⁴⁶ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع سنام أندريني، المؤسسة المشاركة والمديرة التنفيذية لـ "ICAN"، 14 شباط/فبراير

المساجد السلفية ودعاتها.¹⁴⁷ ليس هناك ما يشير إلى أن سلفيي نشاد لهم علاقات أو حتى متعاطفين مع بوكو حرام، إلا أن الإجراءات القاسية التي اتخذت ضد السلفيين غير العنيفين تخاطر بتعزيز ما تحاول منعه.

من المرجح أن تظل بوكو حرام حركة تخريبية، خصوصاً إذا لم تتمكن نشاد وجيرانها من تقديم الأمل للناس في المناطق المتأثرة. وإلى درجة أقل، يمكن لبعض السلفيين أن يزيدوا الضغوط على التماسك الاجتماعي في البلاد. غير أن من شبه المؤكد أن التهديد الأخطر على الاستقرار على المدى المتوسط ينبع من حكم دبيي المشخص ومرامته للسلطة وهي نزعة يفاقمها تحالفه الذي يزداد قوة مع القوى الغربية والتدريب الذي تمنحه هذه القوى لقواته لمحاربة الجهاديين في مناطق أخرى. دون إجراء إصلاحات، فإن من المرجح أنه إما سيثير حالة من عدم الاستقرار داخلياً قبل مغادرته لمنصبه أو أنه سيترك خلفه الفوضى. ليس هناك كثير مما يشير إلى أن الإسلام الراديكالي سيستخدم سواء لتصوير المقاومة لحكمه أو الاقتتال على خلافته، رغم أن انتشار السلفية قد يجعل ذلك أكثر رجحاناً. لكن ثمة احتمال أكبر في أن الجهاديين، سواء بوكو حرام أو الحركات الأكثر حنكة في شمال أفريقيا أو منطقة الساحل، ستمكن من الاختراق والاستفادة من أي أزمة، تماماً كما فعلت في أماكن أخرى، حتى في أماكن لا يوجد فيها تاريخ يذكر للتطرف.

بينما الزعماء الأفارقة وغيرهم لديهم ما يبرر غضبهم من التدفق غير المنظم للأموال الخليجية للدعاة غير المتسامحين، فإن التركيز على ذلك وتجاهل المصادر الأخرى للهشاشة بشكل يخاطر بخسارة الكل من أجل الجزء. إن الاحتمال الأكبر لاستيلاء تنظيم الدولة الإسلامية أو المجموعات المرتبطة بالقاعدة على جزء من الدولة التنشادية هو إذا انهارت الدولة في صراع على السلطة والموارد. وينطبق الأمر ذاته على دول حوض بحيرة تشاد، خصوصاً الكاميرون والنيجر، وفي أجزاء من آسيا الوسطى والعديد من المناطق الأخرى. الأمر المحوري هو ألا تجعل التدابير المتخذة ضد الجهاديين من اندلاع العنف أكثر احتمالاً وذلك بدعم أنماط الحكم الإقصائية والمزعزة للاستقرار.

قد يكون الأمر الأكثر إثارة للقلق في أجندة مواجهة التطرف العنيف هو أن مصطلح "التطرف العنيف" يتم تعريفه بشكل غير محكم، هذا إذا تم تعريفه على الإطلاق. هل يشير إلى عقيدة، أو تكتيكات، أو دعوة أو تطلعات؟ بعض الحكومات الغربية تستخدم المصطلح لوصف الجهاديين الذين يغطيهم هذا التقرير؛ حكومات أخرى تطلق المصطلح على مختلف أنواع المجموعات المسلحة الإسلامية مثل حماس؛ وغيرها أيضاً تستخدمه للإشارة إلى الحركات اليمينية العنيفة في أوروبا.¹⁴⁸

وهكذا فإن المصطلح يخفي أكثر مما يظهر، حيث يمكن أن يحشر معاً أشكالاً متنوعة من الاحتجاج، والتمرد والراديكالية معاً بوصفها "تطرفاً عنيفاً". إذا كان الخلط بين طالبان والقاعدة خطأ قبل 15 عاماً، فإن إحداث تصنيف يمكن أن يشمل تنظيم الدولة الإسلامية، وحماس، وتمردي فارك في كولومبيا والمتطرفين اليمينيين في الغرب خاطئ تحليلياً ويخاطر بوضع السياسة على مسار يسمح للقادة بتصوير أعدائهم بأنه لا يمكن التصالح معهم ودفع بلدانهم إلى حروب لا نهاية لها ضدهم. حتى الحركات التي يناقشها هذا التقرير – وهي من بين أكثر المجموعات المسلحة المعاصرة من غير الدولة تطرفاً من حيث معتقداتها وأهدافها – تشكل نواة ملتزمة فإن هناك العديد غيرها تقاتل من أجل جملة من الدوافع المحلية وغير الأيديولوجية في معظم الأحيان. على صناع السياسات الفصل حتى بين أكثر الحركات راديكالية والبحث عن فرص لإنهاء العنف، وليس حشر حركات أخرى معها.

"إن تصنيف 'التطرف العنيف' – حاله كحال تصنيف 'الإرهابي' – يخاطر بإبعاد السياسات عن العمل السياسي."

إن تصنيف "التطرف العنيف"، حاله كحال تصنيف "الإرهابي"، يخاطر أيضاً بنزع الشرعية عن المظالم والأجندات السياسية للمجموعات – مهما كانت بعض أهدافهم بعيدة – ودفع السياسات بعيداً عن العمل السياسي. خطة الأمم المتحدة، على سبيل المثال، ورغم تأكيدها على أهمية الحوار بين أطراف الصراع، فإنها تبدو رغم ذلك وكأنها تتمحور حول الافتراض بأن "المتطرفين العنيفين" خارج العمل السياسي بشكل كلي. وهذا يترك منطقة متوسطة سياسياً بين السياسات التي تركز في الغالب على التنمية والموجهة نحو نزاع التطرف والتي تعتبر عادة جزءاً من مواجهة التطرف العنيف ومواجهة الإرهاب أو سياسات مواجهة المجموعات المسلحة. باستخدام لغة التطرف العنيف، فإن الأمين العام يعزز الذهنية التي تبرر الإجراءات القائمة على الأمن بشكل حصري والتي يحذر منها.

¹⁴⁷ حظرت الحكومة، على سبيل المثال حجاب المرأة بعد الهجمات الانتخابية في صيف عام 2015. Chad's ban on burqa. *The Express Tribune*, 21 June 2015. *divides Muslims*.

¹⁴⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نيويورك وواشنطن دي سي، أيلول/سبتمبر 2015 – شباط/فبراير 2016.

تتمتع أجنحة مواجهة التطرف العنيف بقيمة بالطبع – وليس فقط كإجراء تصحيحي لأخطاء سابقة. يمكنها أن تساعد في معالجة قضية تجنيد تنظيم الدولة الإسلامية للمقاتلين الجدد، والتي لا تتمحور في كثير من الأماكن على الأئمة والدين بقدر ما تتمحور حول وسائط التواصل الاجتماعي والتركيز على الأخوة، والإنتماء والغاية. يمكنها على سبيل المثال الدفع إلى نزع التطرف في السجون، التي تعد الأمكنة الرئيسية للتجنيد، واتخاذ إجراءات لمساعدة المجموعات الشبابية الضعيفة بشكل خاص، والتي تشكل إحدى التجمعات الرئيسية التي يتم التجنيد بين أعضائها.

لكن عندما تطور الحكومات مقاربة لمواجهة تأثير الحركات المتطرفة فإنها ستكون أكثر حكمة إذا حصرت مواجهة التطرف العنيف بعدد قليل من الأنشطة ذات السياق المحدد الموجهة ضد عوامل "الجذب" وتمويل الأبحاث المتعلقة بالتطرف، الذي ليس هناك فهم جيد له. ومن الطبيعي أن تتم مضاعفة الجهود لمعالجة الأسباب الجذرية لعدم الاستقرار والصراع؛ ويمكن للجهات المانحة تحويل الموارد من الإنفاق العسكري والأمني إلى معالجة تلك العوامل الكامنة. إلا أن هذه الجهات والحكومات التي تدعمها ينبغي أن تفكر بعناية بمزايا كل حالة من إطلاق هذا التصنيف على جهود مواجهة التطرف العنيف. العامل الأهم هو إشراك طيف واسع من الناس، بما في ذلك النساء، من المجتمعات المتأثرة في وضع أية سياسات يتم تبنيها وكيفية صياغتها.

V. الخلاصة

يشكل ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية، ووصوله إلى أماكن أخرى والقوة المتنامية للمجموعات المرتبطة بالقاعدة على مدى السنوات القليلة الماضية تهديداً رئيسياً. ويشكل العنف الذي تمارسه، وخصوصاً الاستعراضات المسرحية التي يقدمها تنظيم الدولة الإسلامية، وعدم تسامحه وأشياء كثيرة أخرى في تفكيره إهانات للأغلبية الساحقة من المسلمين. إن بروزه في العديد من ميادين المعارك اليوم يعقد الجهود المبذولة لإنهاء الحروب ويعمق المعاناة الإنسانية. على زعماء العالم فعل كل ما في وسعهم لتقليص التهديد الذي يشكله، ووقف تجنيده للمقاتلين، ووضع حد لانتشار أيديولوجيته ومنع نشوء مجموعات مماثلة.

إلا أن عكس الموجة الرابعة يتطلب التركيز ليس فقط على عدو من السهل كراهيته بل أيضاً على الظروف التي مكنت من ظهوره: العنف الهائل الذي عانى منه السنة في العراق وسورية، والاضطرابات وتصاعد التنافس بين القوى في الشرق الأوسط؛ والشعور الخطير السائد لدى الأغلبية السنية في العالم العربي بأنهم ضحايا؛ وتنامي سياسات الهوية والكرهية الطائفية، وعدم الاستقرار في ليبيا ومنطقة الساحل بعد الإطاحة بالقدافي؛ والفوضى الأيديولوجية الذي انفتح مع تلاشي حركة الإخوان المسلمين؛ واحتمالات الإصلاح في البلدان التي لم تستسلم بعد؛ وصراعات العديد من الدول لتلبية احتياجات مواطنيها، خصوصاً في المناطق النائية، والأقليات المسلمة والعدد المتزايد للشباب بين السكان. يبرز ظهور تنظيم الدولة الإسلامية بشكل صارخ يأس السنة في العراق وسورية. كما تظهر قدرته على تجنيد المقاتلين في مناطق أخرى، حتى في أوساط الأقليات الصغيرة، إخفاقات الدول في تقديم شيء بقوة ما تقدمه هذه الحركات. يثير تنظيم الدولة الإسلامية حنقاً وغضباً مبررين، غير أن المسؤولية عن ظهوره تنقسمها شريحة واسعة من الأطراف وينبغي أن تؤدي إلى عمليات مراجعة للذات إلى جانب الإدانة والشعور بالتعاطف كما بالاشمئزاز.

أما كيف سيحدث المزيد من التوسع فيظل غير واضح. يتفاوت التفاعل بين التهديد الذي يشكله الجهاديون والمصادر الأخرى للهشاشة من منطقة إلى أخرى. رغم استراتيجياتهما المتناقضة، فإن تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة على حد سواء أظهرتا بأنهما يستطيعان استغلال الانقسامات على عدد من الخطوط – خصوصاً الخطوط الطائفية في حالة تنظيم الدولة الإسلامية، بل أيضاً الخطوط الفاصلة بين الأجيال والمجتمعات وداخلها وبين أولئك الذين يتمتعون بالسلطة وأولئك الذين لا يتمتعون بها. تهدف هجماتهم الإرهابية، كذلك التي كانت تشنها مجموعات عديدة قبلهما، إلى تعميق الانقسامات، ومقاومة الظروف التي تمكنها من توسيع وإثارة ردود الفعل التي تؤدي إلى النتيجة نفسها.

إلا أن ما تظهره السنوات القليلة الماضية بوضوح – خصوصاً ولكن فقط في الشرق الأوسط – هو أن الحرب وانهيار الدول تشكل فرصاً هائلة لكلا الحركتين. تعد إعادة عقارب الساعة في هذه الصراعات التي تحاربان فيها إلى الوراء ومنع الانهيارات في أماكن أخرى أجندات طموحة، وتتطلب تغييرات في بعض الحسابات الاستراتيجية للقوى الرئيسية والإقليمية وأن يقوم القادة الذين لم يظهروا ميلاً كبيراً نحو الإصلاح حتى الآن بالإصلاح. إلا أن محاولة مواجهة نفوذ تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة في الوقت الذي تستعر فيه أوزار الحروب وتسفك فيها الدماء، ويظهر كل ذلك على وسائل الإعلام المحلية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فمن المرجح سنثبت أنها محاولة عبثية. وفي حين أن كلاً من الحركتين بوسعهما إثارة أزمة رئيسية في مسرح جديد، فإن الاحتمال الأكثر رجحاناً لقيام أي من الحركتين بالاستيلاء على أراضي أو تأسيس حضور جدي في أماكن أخرى يحدث بالاستفادة من الانهيارات التي لا تلعب دوراً محورياً في حدوثها في البداية. ورغم القوة المتنامية لهاتين الحركتين، فإن أكبر خطر تشكلانه، في لحظة ذات خطورة خاصة في تاريخ العالم، يتمثل في أنهما تثيران ردود فعل تعمق الظروف التي تتغذى عليها؛ وكالأخطاء التي ارتكبت بعد هجمات 11 أيلول/سبتمبر، فإنها تخلق حالات جديدة من عدم الاستقرار تكون في النهاية لمصلحتها.

بروكسل 14 آذار/مارس 2016

الملحق أ: مسرد

- أبو بكر البغدادي** – زعيم تنظيم الدولة الإسلامي، اسم حركي.
- أبو بكر شيكاو** – زعيم بوكو حرام.
- أبو خالد السوري** – أحد أعضاء القاعدة النشطين، من بين الأعضاء المؤسسين لأحرار الشام، قتل في هجوم انتحاري يشك بأن تنظيم الدولة الإسلامية دبره عام 2014.
- أبو عبيدة** – زعيم حركة الشباب.
- أبو محمد الجولاني** – زعيم جبهة النصرة.
- أبو مصعب الزرقاوي** – زعيم القاعدة في العراق، قتل في غارة جوية أمريكية عام 2006.
- أحرار الشام** – مجموعة معارضة مسلحة سلفية سورية ترفض تصنيف "جهادية"، من بين أقوى الحركات العاملة في شمال غرب سورية، والقوة الرئيسية في تحالف جيش الفتح.
- أحمد عبيد غودان** – الزعيم السابق لحركة الشباب، قتل بغارة لطائرة بدون طيار عام 2014.
- أنصار بيت المقدس**، أصبحت الآن تنظيم الدولة الإسلامية في سيناء.
- أنصار الدين** – مجموعة مسلحة ملاوية، متحالفة مع مجموعات مرتبطة بالقاعدة منذ عام 2012.
- أنصار الشريعة** – تشير إلى ميليشيات في ليبيا واليمن، وترتبطها على الأغلب صلات بالقاعدة.
- أنظمة الدفاع الجوي المحمولة على الكتف**.
- أنور العولقي** – أحد مقاتلي القاعدة في شبه الجزيرة العربية ومواطن أمريكي، قتل في غارة بطائرة بدون طيار عام 2011.
- إياد آغ غالي** – زعيم أنصار الدين.
- أيمن الظواهري** - الزعيم الحالي للقاعدة.
- بيت الله محسود** – أول قائد لطالبان باكستان، قتل في غارة لطائرة أمريكية دون طيار عام 2009.
- البيعة** – التعهد بالولاء ويعطى من شخص إلى آخر.
- بوكو حرام** – مجموعة مسلحة نشأت في الأصل في شمال نيجيريا، تعني تقريباً "التعليم الغربي حرام". اسمها الرسمي هو جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد.
- التكفير** – اعتبار أشخاص أو مجموعات تبدو أنها مسلمة غير مسلمة، وبذلك السماح بقتلهم دون عقاب والالتفاف على الحظر العام للقرآن بقتل مسلم لآخر.
- جبهة النصرة** – فرع القاعدة في سورية.
- جلال محسن سعيد بلعدي** – عضو سابق في القاعدة في شبه الجزيرة العربية، بايع تنظيم الدولة الإسلامية، قتل في غارة يشك بأنها لطائرة أمريكية دون طيار في شباط/فبراير 2016.
- جيش الفتح** – أقوى تحالف للمعارضة المسلحة السورية، خصوصاً في شمال غرب سورية. تشكل أحرار الشام وجبهة النصرة أغلبية قواته.
- حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا**، وهي مجموعة منشقة عن القاعدة في المغرب الإسلامي، كانت تسيطر على جزء من شمال مالي عام 2013.
- حزب الله** – ميليشيا شيعية تأسست عام 1985 بعد الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وهي اليوم إحدى أكثر القوى التي تقاتل في سورية إلى جانب نظام الأسد فعالية.
- حزب العمال الكردستاني** – منخرط في تمرد مسلح ضد تركيا منذ وقت طويل.
- حكيم الله محسود** – الزعيم السابق لطالبان باكستان، قتل في غارة جوية أمريكية بطائرة دون طيار عام 2013.
- اللواء خليفة حفتر** – الضابط الذي يفقد الجيش المتحالف مع حكومة طبرق المعترف بها دولياً، وأحد أطراف الصراع في ليبيا؛ قاد عملية الكرامة في ذلك الصراع.
- عبد القادر مؤمن** – عضو حركة الشباب، يتخذ من شمال الصومال مقراً له، بايع زعيم تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي.
- عبد المالك دروكدال** – زعيم القاعدة في المغرب الإسلامي.
- عدن هاشي فرح أيرو** – الزعيم السابق لحركة الشباب، قتلته الولايات المتحدة عام 2008.
- عملية سرفال** – العملية العسكرية الفرنسية التي أخرجت المقاتلين المرتبطين بالقاعدة من مدن شمال مالي في مطلع عام 2013 واستمرت حتى أواسط عام 2014.
- الشباب** – حركة مسلحة صومالية، ترتبط الآن بشكل رسمي بالقاعدة.
- الرافضة** – مصطلح يحط من شأن الشيعة ويستخدم من قبل السنة، وهو يشير إلى رفض الخلافة الشرعية بعد النبي محمد.
- طالبان باكستان** – تحالف غير وثيق بين ميليشيات تعمل معظمها في المناطق القبلية الباكستانية، رغم أنها تشتت مؤخراً بسبب عمليات الجيش الباكستاني.
- قاسم الريمي** – زعيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية.

- قوات حماية الشعب الكردي، الجناح العسكري للحزب الديمقراطي الكردي، وهي مجموعة كردية في سورية مرتبطة بحزب العمال الكردستاني.**
- عسكر طيبة – مجموعة مسلحة باكستانية كانت تتمركز في البداية في كشمير لكنها الآن تهاجم الهند مباشرة وتقاتل في أفغانستان.**
- مواجهة التطرف العنيف؛ وبعض الحكومات والأمم المتحدة تستخدم منع العنف المتطرف.**
- المناطق القبلية ذات الإدارة الفيدرالية في باكستان.**
- محمد يوسف – أول قائد لبوكو حرام، قتل لدى احتجازه من قبل الشرطة عام 2009.**
- مختار بلمختار – قائد مخضرم للقاعدة في المغرب.**
- المُلا فضل الله – زعيم طالبان باكستان، كان يرأس فصيل سوات، يعتقد أنه الآن في أفغانستان.**
- المُلا منصور – زعيم طالبان أفغانستان.**
- المُلا عمر – الزعيم السابق لطالبان أفغانستان. الذي أعلن عن موته (عام 2013) في 2015.**
- ناصر الوحيشي – الزعيم السابق للقاعدة في شبه الجزيرة العربية والمدير العام للقاعدة، قتل في غارة جوية بطائرة دون طيار في حزيران/يونيو 2015.**
- الولاية – مقاطعة، تستخدم من قبل تنظيم الدولة الإسلامية لرسم الوحدات الإدارية والجغرافية في سورية والعراق وكذلك للإشارة إلى المجموعات الأعضاء فيها في مسارح الصراع الأخرى.**

الملحق ب: حول مجموعة الأزمات الدولية

مجموعة الأزمات الدولية (مجموعة الأزمات) هي منظمة مستقلة غير ربحية وغير حكومية، تضم حوالي 125 موظفاً في خمس قارات يعملون من خلال التحليل الميداني وحشد الدعم وممارسة الإقناع على المستويات العليا من أجل منع وتسوية النزاعات الخطيرة.

تقوم مقارنة مجموعة الأزمات على أساس البحث الميداني. حيث تعمل فرق من الباحثين السياسيين داخل أو بالقرب من الدول التي يوجد فيها خطر لاندلاع أو تصاعد أو تكرار حدوث صراع عنيف. وبناء على المعلومات والتقييمات المستقاة من الميدان تقوم بإعداد تقارير تحليلية تتضمن توصيات عملية موجهة إلى كبار صناع القرار الدوليين. كما تقوم مجموعة الأزمات بنشر *كرايسيز ووتش* وهي نشرة شهرية من اثنتي عشرة صفحة تقدم آخر المعلومات بأسلوب موجز حول وضع جميع حالات النزاع الأهم أو المتوقعة في العالم.

يتم توزيع تقارير وإحاطات مجموعة الأزمات بشكل واسع عبر البريد الإلكتروني، وتتوافر في نفس الوقت على موقعها على الإنترنت: www.crisisgroup.org. تعمل مجموعة الأزمات بشكل وثيق مع الحكومات والأطراف التي تؤثر على الحكومات، بما في ذلك الإعلام، من أجل إبراز تحليلاتها حول الأزمات وحشد التأييد لتوصياتها بشأن السياسات.

إن مجلس أمناء مجموعة الأزمات – الذي يضم شخصيات بارزة في مجالات السياسة والدبلوماسية والأعمال والإعلام – يعمل بشكل مباشر في المساعدة على إيصال هذه التقارير والتوصيات إلى انتباه كبار صناع السياسات في سائر أنحاء العالم. يرأس مجموعة الأزمات النائب السابق للأمين العام للأمم المتحدة والمدير الإداري لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مارك مالوخ – براون، وعميد كلية باريس للشؤون الدولية، غسان سلامة.

رئيس مجموعة الأزمات ومديرها التنفيذي، جان – ماري غيهينو، استلم منصبه في 1 أيلول/سبتمبر 2014. عمل السيد غيهينو نائباً للأمين العام للأمم المتحدة لعمليات حفظ السلام بين عامي 2000 و2008، وأحد نائبي نائباً المبعوث الخاص للأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سورية. ترك هذا المنصب ليرأس اللجنة التي أعدت الكتاب الأبيض حول الدفاع والأمن الوطني الفرنسي عام 2013.

يوجد المقر الرئيسي لمجموعة الأزمات الدولية في بروكسل، كما أن لها مكاتب في 26 موقعاً هي: بغداد/السليمانية، وبنكوك، وبكين، وبيروت، وبيشيك، وبوغوتا، والقاهرة، وداكار، ودي، ومدينة غزة، وإسلام آباد، واسطنبول، والقدس، وجوهانسبرغ، وكابول، ولندن، ومكسيكو سيتي، وموسكو، ونيروبي، ونيويورك، وسيؤول، وتورونتو، وطرابلس، وتونس، وواشنطن دي سي. وتغطي مجموعة الأزمات حالياً حوالي 70 منطقة لنزاع قائم أو محتمل الوقوع في أربع قارات. ويشمل ذلك في أفريقيا بوركينا فاسو، وبوروندي، والكاميرون، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وتشاد، وساحل العاج، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وإريتريا، وإثيوبيا، وغينيا، وغينيا-بيساو، وكينيا، وليبيريا، ومدغشقر، ونيجيريا، وسيراليون، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وأوغندا، وزمبابوي. كما يشمل في آسيا أفغانستان، وإندونيسيا، وكشمير، وكازاخستان، وقرغيزيا، وماليزيا، ومينامار، ونيبال، وكوريا الشمالية، وباكستان، والفلبين، وسريلانكا، ومضيق تايوان، وطاجيكستان، وتايلاند، وتيمور الشرقية، وتركمانستان وأوزبكستان. أما في أوروبا فيشمل أرمينيا، وأذربيجان، والبوسنة والهرسك، وقبرص، وجورجيا، وكوسوفو، ومقدونيا، وشمال القوقاز، وصربيا، وتركيا. بينما يشمل في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كلاً من الجزائر، والبحرين، ومصر، وإيران، والعراق، وإسرائيل-فلسطين، والأردن، ولبنان، وليبيا، والمغرب، وسورية، وتونس، والصحراء الغربية، واليمن. ويشمل في أميركا اللاتينية والكاريبي كلاً من كولومبيا، وغواتيمالا، والمكسيك، وفنزويلا.

هذا العام تتلقى مجموعة الأزمات دعماً مالياً مع طيف واسع من الحكومات والصناديق والمتبرعين الأفراد. تقيم مجموعة الأزمات علاقات مع الدوائر والهيئات الحكومية التالية: الوكالة الأسترالية للتنمية الدولية، الوكالة النمساوية للتنمية، ووزارة الخارجية البلجيكية، ووزارة الشؤون الخارجية، والتجارة والتنمية الكندية، ووزارة الخارجية الدنماركية، ووزارة الخارجية الهولندية، وآلية الاستقرار في الاتحاد الأوروبي، ووزارة الخارجية الفنلندية، ووزارة الخارجية الفرنسية، ومؤسسة المساعدات الأيرلندية، وإمارة ليختنشتاين، ووزارة خارجية اللوكسمبورغ، ووزارة الخارجية والتجارة النيوزيلندية، ووزارة الخارجية النرويجية، ووزارة الخارجية السويدية، ووزارة الخارجية الاتحادية السويسرية، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

ترتبط مجموعة الأزمات بعلاقات مع المؤسسات التالية: مؤسسة أدبسيوم، ومؤسسة كارنيغي في نيويورك، ومؤسسة هنري لوس، ومؤسسة جون دي وكاترين تي ماكارثر، ومؤسسة كوربر، وغلوبال دايا لاو، ومؤسسة جمعية أوبن سوسيتي، ومبادرة أوبن سوسيتي لغرب أفريقيا، ومؤسسة بلوشيرز، ومؤسسة روبرت بوش ستيفنسون، ومؤسسة روكفيلير براذرز، ومؤسسة تينكر. كما تود مجموعة الأزمات أن تعبر عن امتنانها للتعاون مع مؤسسة كوربر.

الملحق ج: مجلس أمناء مجموعة الأزمات الدولية

PRESIDENT & CEO

Jean-Marie Guéhenno

Former UN Under-Secretary-General for Peacekeeping Operations

CO-CHAIRS

Lord (Mark) Malloch-Brown

Former UN Deputy Secretary-General and Administrator of the United Nations Development Programme (UNDP)

Ghassan Salamé

Dean, Paris School of International Affairs, Sciences Po

VICE-CHAIR

Ayo Obe

Legal Practitioner, Columnist and TV Presenter, Nigeria

OTHER TRUSTEES

Morton Abramowitz

Former U.S. Assistant Secretary of State and Ambassador to Turkey

Fola Adeola

Founding Managing Director, Guaranty Trust Bank Plc; Founder and Chairman, FATE Foundation

Ali al Shihabi

Author; Founder and former Chairman of Rasmala Investment bank

Celso Amorim

Former Minister of External Relations of Brazil; former Defence Minister

Hushang Ansary

Chairman, Parman Capital Group LLC

Nahum Barnea

Political Columnist, Israel

Carl Bildt

Former Foreign Minister of Sweden

Emma Bonino

Former Foreign Minister of Italy and Vice-President of the Senate; Former European Commissioner for Humanitarian Aid

Lakhdar Brahimi

Member, The Elders; UN Diplomat; Former Foreign Minister of Algeria

Micheline Calmy-Rey

Former President of the Swiss Confederation and Foreign Affairs Minister

Cheryl Carolus

Former South African High Commissioner to the UK and Secretary General of the African National Congress (ANC)

Maria Livanos Cattau

Former Secretary-General of the International Chamber of Commerce

Wesley Clark

Former NATO Supreme Allied Commander

Sheila Coronel

Toni Stabile Professor of Practice in Investigative Journalism; Director, Toni Stabile Center for Investigative Journalism, Columbia University, U.S.

Mark Eyskens

Former Prime Minister of Belgium

Lykke Friis

Prorector For Education at the University of Copenhagen. Former Climate & Energy Minister and Minister of Gender Equality of Denmark

Frank Giustra

President & CEO, Fiore Financial Corporation

Alma Guillermoprieto

Writer and Journalist, Mexico

Mo Ibrahim

Founder and Chair, Mo Ibrahim Foundation; Founder, Celtel International

Wolfgang Ischinger

Chairman, Munich Security Conference; Former German Deputy Foreign Minister and Ambassador to the UK and U.S.

Asma Jahangir

Former President of the Supreme Court Bar Association of Pakistan; Former UN Special Rapporteur on the Freedom of Religion or Belief

Yoriko Kawaguchi

Former Minister for Foreign Affairs, Japan

Wadah Khanfar

Co-Founder, Al Sharq Forum; Former Director General, Al Jazeera Network

Wim Kok

Former Prime Minister of the Netherlands

Ricardo Lagos

Former President of Chile

Joanne Leedom-Ackerman

Former International Secretary of PEN International; Novelist and journalist, U.S.

Sankie Mthembu-Mahanyele

Chairperson of Central Energy Fund, Ltd.; Former Deputy Secretary General of the African National Congress (ANC)

Lalit Mansingh

Former Foreign Secretary of India, Ambassador to the U.S. and High Commissioner to the UK

Thomas R Pickering

Former U.S. Undersecretary of State and Ambassador to the UN, Russia, India, Israel, Jordan, El Salvador and Nigeria

Karim Raslan

Founder & CEO of the KRA Group

Olympia Snowe

Former U.S. Senator and member of the House of Representatives

George Soros

Founder, Open Society Foundations and Chair, Soros Fund Management

Javier Solana

President, ESADE Center for Global Economy and Geopolitics; Distinguished Fellow, The Brookings Institution

Pär Stenbäck

Former Minister of Foreign Affairs and of Education, Finland. Chairman of the European Cultural Parliament

Jonas Gahr Støre

Leader of Norwegian Labour Party; Former Foreign Minister

Lawrence H. Summers

Former Director of the U.S. National Economic Council and Secretary of the U.S. Treasury; President Emeritus of Harvard University

Wang Jisi

Member, Foreign Policy Advisory Committee of the Chinese Foreign Ministry; Former Dean of School of International Studies, Peking University

Wu Jianmin

Executive Vice Chairman, China Institute for Innovation and Development Strategy; Member, Foreign Policy Advisory Committee of the Chinese Foreign Ministry; Former Ambassador of China to the UN (Geneva) and France

PRESIDENT'S COUNCIL

A distinguished group of individual and corporate donors providing essential support and expertise to Crisis Group.

CORPORATE	INDIVIDUAL	
BP	(5) Anonymous	Herman De Bode
Investec Asset Management	Fola Adeola	Reynold Levy
Shearman & Sterling LLP	Scott Bessent	Alexander Soros
Statoil (U.K.) Ltd.	David Brown & Erika Franke	
White & Case LLP	Stephen & Jennifer Dattels	

INTERNATIONAL ADVISORY COUNCIL

Individual and corporate supporters who play a key role in Crisis Group's efforts to prevent deadly conflict.

CORPORATE	INDIVIDUAL	
APCO Worldwide Inc.	Anonymous	Rita E. Hauser
Atlas Copco AB	Samuel R. Berger	Geoffrey R. Hoguet & Ana Luisa Ponti
BG Group plc	Stanley Bergman & Edward Bergman	Geoffrey Hsu
Chevron		Faisal Khan
Edelman UK	Elizabeth Bohart	Cleopatra Kitt
Equinox Partners	Neil & Sandra DeFeo Family Foundation	Kerry Propper
HSBC Holdings plc		Robert C. Smith
MetLife	Sam Englehardt	Nina K. Solarz
Shell	Neemat Frem	
Yapı Merkezi Construction and Industry Inc.	Seth & Jane Ginns	
	Ronald Glickman	

AMBASSADOR COUNCIL

Rising stars from diverse fields who contribute their talents and expertise to support Crisis Group's mission.

CORPORATE	INDIVIDUAL	
APCO Worldwide Inc.	Anonymous	Rita E. Hauser
Atlas Copco AB	Samuel R. Berger	Geoffrey R. Hoguet & Ana Luisa Ponti
BG Group plc	Stanley Bergman & Edward Bergman	Geoffrey Hsu
Chevron		Faisal Khan
Edelman UK	Elizabeth Bohart	Cleopatra Kitt
Equinox Partners	Neil & Sandra DeFeo Family Foundation	Kerry Propper
HSBC Holdings plc		Robert C. Smith
MetLife	Sam Englehardt	Nina K. Solarz
Shell	Neemat Frem	
Yapı Merkezi Construction and Industry Inc.	Seth & Jane Ginns	
	Ronald Glickman	

SENIOR ADVISERS

Former Board Members who maintain an association with Crisis Group, and whose advice and support are called on (to the extent consistent with any other office they may be holding at the time).

Martti Ahtisaari Chairman Emeritus	Zbigniew Brzezinski	Swanee Hunt
George Mitchell Chairman Emeritus	Kim Campbell	James V. Kimsey
Gareth Evans President Emeritus	Jorge Castañeda	Aleksander Kwasniewski
Kenneth Adelman	Naresh Chandra	Todung Mulya Lubis
Adnan Abu-Odeh	Eugene Chien	Allan J. MacEachen
HRH Prince Turki al-Faisal	Joaquim Alberto Chissano	Graça Machel
Óscar Arias	Victor Chu	Jessica T. Mathews
Ersin Arıoğlu	Mong Joon Chung	Barbara McDougall
Richard Armitage	Pat Cox	Matthew McHugh
Diego Arria	Gianfranco Dell'Alba	Miklós Németh
Zainab Bangura	Jacques Delors	Christine Ockrent
Shlomo Ben-Ami	Alain Destexhe	Timothy Ong
Christoph Bertram	Mou-Shih Ding	Olara Otunnu
Alan Blinken	Uffe Ellemann-Jensen	Lord (Christopher) Patten
Lakhdar Brahimi	Gernot Erlar	Shimon Peres
	Marika Fahlén	Victor Pinchuk
	Stanley Fischer	Surin Pitsuwan
	Carla Hills	Fidel V. Ramos